جامعة الأزهر
كلية الدراسات الاسلامية والعربية
للبنات بالإسكندرية
قسم الأدب والنقد

ملامح شعر العقيدة عند شوقى

دكتورة
وفاء مصطفى أبو السعود
أستاذ الأدب والنقد المساعد
كلية الدراسات الاسلامية
والعربية للبنات بالإسكندرية

﴿ ٨٩٩ ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

ملامح شعر العقيدة

عند شوقى

توطئـــه:

كانت الإديان من الينابيع الأولى لأنواع شتى مـن الأدب فـى كثير مـن الأمـم. وما زالت الأديان السماوية ينابيع يستقى منها الشعراء والقصـاص، فيسـتمدون منها موضوعات، ويستوحونها ألوانا من الصور والأخيلة والأفكار.

ومما لا شك فيه أن علاقة الإسلام بالأدب أوثق، لأنـه ديـن سـماوى أكمـل مـا قبله، ونسخ ما سبقه، وارتضاه الله تعالى لعباده خاتماً للأديان، وأنهى برسـوله الرسالات.

وهو إلى هذا الدين الذى اعتمد إلـى المعجـزة الأدبيـة الكـبرى القـرآن الكريـم، وكان مبلغ رسالته عليه الصلاة والسلام أعلى قومه مرتبة فى درجات البيان.

ثم أن القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف كانا الباعث الحـافز إلـى وضـع كثير من العلوم، فى صدارتها العلوم الأدبية واللغوية.

ومن هنا نستطيع أن نقول إن العلاقـات قـد توثقت بيـن الإسـلام والأدب، ومـا زالت تزداد وثاقة على مر الأيام.

وهذه الدراسة التى أقدمها فـى هـذا البحـث مظهـر مـن مظـاهر الصـلات بيـن

الإسلام والأدب، ومظهر من مظاهر تأثير الإسلام فيما يتصل بالأدب من موضوعات وصور وأفكار.

وقد اخترت «ملامح شعر العقيدة عند شوقى» لأنه أكثر شعراء العصر الحديث تناولا للموضوعات الدينية ولأن فى شعره الإسلامى جوانب جديرة بالدراسة لم توف حقها، فلم يعرض الباحثون لشعره الإسلامى الذى يمس عقيدة التوحيد فى الصميم إلا قليلا، مع العلم بأن هذا اللون واسع الانتشار فى شعره.

وبعد، فأرجو أن يكون فى هذه الدراسة إنصاف لشوقى فيما يستحق فيه الإنصاف.

شعر شوقى الإسلامى وسلوكه فى نظر مؤرخى الأدب والنقاد

للثقافة أثر كبير فى تهذيب الذوق ورهافة الحس، ودقة الشعور، ونضج الشاعرية، وأمير الشعراء «أحمد شوقى»[1] كان موسوعى الثقافة، وأكبر شاعر فى عصرنا الحديث، جمع بين الحضارتين القديمة والحديثة، والأسلوب القديم والحديث، فكان جسراً بين الماضى والحاضر.

فشوقى شاعر بكل معنى الكلمة وشعره سوف يدوم ما دامت اللغة لأنه لم يكن لمصر فقط بل للعالم العربى بشكل عام. وهو شاعر الحياة بكل مناحيها، فهو

(١) أنظر فى ترجمة أحمد شوقى أمراء الشعراء السيد فرج ص ٣٠٣ وما بعدها الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢ وكذا تاريخ الآداب العربية تحقيق على نجيب عطوى المجلد الثانى ص ٤١١ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م وكذا فصول فى الشعر ونقده شوقى ضيف ص ٣٣١ دار المعارف الطبعة الثانية.

شاعر الطرب وشاعر الوطنية وشاعر الاجتماع وشاعر السياسة وشاعر الحكمة وشاعر التجارب وشاعر الإسلام وشاعر الشرق. وكان مسلماً يغار على الإسلام ويحترمه أيما احترام. وكان لذلك بالغ الأثر فى تفوقه على أقرانه من الشعراء المعاصرين له فى مصر، والدول العربية، كما كان شوقى متأجج العاطفة، وكان يصدر فى كثير من شعره عن عاطفة دينية قوية والذى يتعمق شعره، ويغوص بين قصائده وأبياته يجد أن عقيدة التوحيد راسخة فى شعره رسوخ الجبال الرواسى، وتبدو مظاهر العقيدة واضحة فى شعره فهو – كما يتضح من شعره – مؤمن قوى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره حلوه ومره.

وقد عرض كثير من مؤرخى الأدب والباحثين لعواطفه الدينية والإسلامية[١]، وأفرد بعض الباحثين دراسات مستقلة فى إسلاميات شوقى، وجعل بعضهم المحاور الأساسية للشعر الإسلامى عنده العبادات والشعائر الدينية، وشعر المناسبات الدينية[٢]. ولم يعرضوا لشعره الإسلامى الذى يمس عقيدة التوحيد فى الصميم إلا قليلا، مع العلم بأن هذا اللون واسع الإنتشار فى شعره، فقد أفرد أحمد شوقى لهذا المنحى قصائد كاملة كقصيدته «الله والعلم»[٣] وقصيدته

(١) انظر شوقى شاعر العصر الحديث شوقى ضيف ص ١٢٥ دار المعارف الطبعة الثالثة عشرة وكذا الأدب العربى المعاصر فى مصر شوقى ضيف ص ٥٣ دار المعارف الطبعة الثامنة ١٩٨٣م وكذا موقف شوقى والشعراء المصريين من الخلافة العثمانية عبد العليم القبانى ص ٧٠، ١٥١ وما بعدها الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م.

(٢) وذلك مثل: شوقى وشعره الإسلامى ماهر حسن سنه ١٩٥٩م والدين والأخلاق فى شعر شوقى على الجندى ١٩٦٤م والإسلام فى شعر شوقى أحمد الحوفى.

(٣) الشوقيات لأمير الشعراء أحمد شوقى ج ١ ص ٧٤ مكتبة مصر.

التى عنون لها بلفظ الجلالة «الله»[١]، كما انتثرت له أبيات كثيرة فى شوقياته وكلها تضفى على قصائده جوا إيمانياً وعاطفة دينية قوية، وتبرز عقيدته الإيمانية فى أروع صورها.

ولعل تغلغل العاطفة الدينية هى التى منعت شوقى من أن يلوث شعره بالمجون أو بهراء القول شأن السواد الأعظم من كبار الشعراء لا فى الشرق بل فى الغرب أيضاً.

وفى الواقع أننا نادراً ما نجد شاعراً نزه نفسه عن لغو الكلام أو عن الهجو أو المجون. أما شوقى فقد كان عف اللسان لم ينظم فى حياته قط بيتاً يخجل أى امرئ من تلاوته على ابنته فى خدرها.

ونحن فى أشد الحاجة إلى هذا النوع من الأدب المنزه من كل نقيصة وشائبة[٢].

ومع ذلك لم يسلم شعر أحمد شوقى من توجيه المآخذ إليه، حيث تحامل عليه كثير من النقاد، وبخاصة أصحاب مدرسة الديوان، فلم يسلم سلوكه الأخلاقى من توجيه النقد إليه مع كثرة شعره الإسلامى، وحرص بعض النقاد ومؤرخى الأدب أن يكشفوا عن تحرره الأخلاقى، وحصروه غالبا فى شرب الخمر، نظر الدكتور محمد حسين هيكل إلى هذا اللون من شعر أحمد شوقى فتمثله صاحب خمر ولذة وخلاعة، ونظر إلى لون آخر من شعره فوجده رجل دين وحكمة وحفاظ على الإسلام واللغة، فحكم بأنه ذو شخصيتين متناقضتين.

---

(١) مجلة الهلال مايو ١٩٢٤م.

(٢) أمير الشعراء أحمد شوقى شعره الغنائى الخالد ضياء الدين ظاظا ص ٢٨ إذن الطباعة من وزارة الإعلام فى الجمهورية العربية السورية.

﴿ ٩٠٣ ﴾

قال فى مقدمة «الشوقيات»:

وإنك لتكاد تشعر حين مراجعتك أجزاء ديوانه كأنك أمام رجلين مختلفين جد لاختلاف لا صلة بين أحدهما والآخر، إلا أن كليهما شاعر مطبوع يصل من الشعر إلى عليا سماواته، وأن كليهما مصرى يبلغ حبه مصر حد التقديس والعبادة.

أحدهما مؤمن عامر النفس بالإيمان، مسلم يقدس أخوة المسلمين ويجعل من دولة الخلافة قدسا تفيض عليه شئونه وحوادثه وحى الشعر وإلهامه. حكيم يرى الحكمة ملاك الحياة وقوامها، محافظ فى اللغة يرى العربية تتسع لكل صورة ولكل معنى ولكل فكرة ولكل خيال. والرجل الآخر رجل دنيا يرى فى المتاع بالحياة ونعيمها خير آمال الحياة وغاياتها، متسامح تسع نفسه الإنسانية، وتسع معها الوجود كله، ساخر من الناس وأمانيهم، مجدد فى اللغة لفظا ومعنى.

وهذا الازدواج ظاهر فى شعر شوقى من أول شبابه ففى شعره صورتان من صور الحياة تقوم كل منهما مستقلة كأن صاحبها غير الآخر.

فأنت تقرأ:

حف كأسها الحبب فهى فضة ذهب[١]

أو تقرأ:

رمضان ولى هاتها يا ساقى مشتاقة تسعى إلى مشتاق[٢]

(١) الشوقيات ج ٢ ص ٩.
(٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٧٧.

فتراك في حضرة شاعر مغرم بالحياة وبمتاعها ونعمتها. شاعر تختلف روحه جد الاختلاف عن صاحب «نهج البردة» التى مطلعها:

ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دم فى الأشهر الحرم[١]

وصاحب «الهمزية النبوية» الذى يقول:

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء[٢]

ثم علل الدكتور محمد حسين هيكل هذا الازدواج فانتهى إلى أن شوقى كان فى شبابه رسول الحياة كان شاعراً، فلما صار شاعر الخديوى عباس حلمى، وصار كلمته حتم عليه هذا الاتصال أن يكون معبراً عن عواطفه، وكانت عواطفه[٣] متفقة وعواطف المسلمين الذين يرون الخليفة الموئل الأخير لأمم الإسلام جميعاً. ومن هنا كان شوقى يعبر عن آمال المسلمين كلهم، فاجتمع فى نفسه من أول حياته ميله إلى الحياة وحرصه على الاستمتاع بها، مع إيمان المسلمين جميعاً وحرصهم على وحدتهم وكيانهم بازاء الأمم الغربية التى كانت تنظر إليهم بعين صليبية. وكانت هذه الناحية التى تمثلها نفسه من ظروف الحياة أو من البيئة المحيطة به، أكثر استيحاء لشعره من الناحية الأولى التى هى طبيعة نفسه.

كما يرجع بعض النقاد سبب تحرر شوقى الأخلاقى إلى أنه كان يعيش فى البلاط، يمدح الحكام، وعلى صلة وثيقة بهم، شأنه فى ذلك شأن الشعراء العرب القدامى مع الملوك والأمراء، وصور ذلك بقوله: «لقد أصبح - شوقى

(١) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٧٨.
(٢) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٠.
(٣) الاسلام فى شعر شوقى أحمد محمد الحوفى ص ١٢.

– صديق الخديوى ونجيه، ومكانته فى هذا المقام لا تختلف عن مكانة المتنبى لدى سيف الدولة، والبحترى لدى المتوكل، وأبى نواس لدى الأمين، بل ربما تزيد، ألم يعلم بأن شاعره لا يدع الكأس فارغة ولا يطيق أن يراها مليئة، فتغاضى عن ذلك ولم يزد على أن قال: أبو قارورة»[١].

ويقول الدكتور زكى مبارك فى الموازنة بين البوصيرى وشوقى: أين شوقى من البوصيرى؟ لقد كان البوصيرى من أئمة الصوفية. أما شوقى فقد كان حين نظم قصيدته من رجال البلاط، وكان يحسن أن يقول:

رمضان ولى هاتها يا ساقى مشتاقة تسعى إلى مشتاق

ومن هنا سنحت له الفرصة ليزفر تلك الزفرة الحارة، ويرمى بذلك الندم الموجع الذى يذيب لفائف القلوب، وانظر كيف يقول:

إن جل ذنبى عن الغفران لى أمل فى الله يجعلنى فى خير معتصم

وكان شوقى أوفر الناس إحساساً بخطر ذنبه، وكرم ربه حين قال:

وإن تقدم ذو تقوى بصالحة قدمت بين يديه عبرة الندم[٢]

ولم يكن قرب شوقى من الحكام هو السبب الوحيد الذى جعل المؤرخين والنقاد يوجهون إليه تلك الانتقادات السلوكية، بل كانت بعض أشعاره ناطقة بالتحلل الدينى وذلك مثل قصيدته عن عيد الفطر التى استهلها بقوله:

رمضان ولى هاتها يا ساقى مشتاقة تسعى إلى مشتاق

«فشوقى يظهر فرحته بانقضاء رمضان حتى يعود إلى مجلس

(١) أحمد شوقى ماهر حسن ص ٤٢، ٤٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م أعلام العرب.
(٢) الموازنة بين الشعراء زكى مبارك ص ٢٢٠، ٢٢١.

الشراب، فهو يشبه الاشتياق المتبادل بينه وبين الخمر بالشوق بين الأحبة»[١].

وقد اعتبرت الدكتورة «سعاد عبد الوهاب» أن هذه القصيدة تمثل جانبا سلبيا فى تعبير شوقى عن رمضان كما أنها استنتجت من التعبير أيضاً أن هناك جانباً إيجابياً فى سلوك شوقى يدل دلالة واضحة على العاطفة الدينية الكامنة فى أعماقه لما يكنه من احترام لقدسية هذا الشهر العظيم[٢]. وهذا الجانب الإيجابى هو أن شوقى يتوقف عن الشراب فى شهر رمضان لأنه شهر مقدس، وهذا نوع من التعاطف مع شوقى، لأن الإسلام حرم الخمر على المسلمين فلا يشربونها فى رمضان ولا فى غيره، فالحكم واحد، فلا نستطيع أن نمتنع عن شرابها فى رمضان ونبيح شرابها فى غير رمضان؟!.

كما ذكرت د/ «سعاد عبد الوهاب» فى موضع آخر من بحثها أن شوقى «كان يملك سلوكاً يمكن أن يوصف بأنه متحرر.

لقد كان يشرب كثيراً وكان يسمى قصره الخاص كرمة ابن هانئ، ولهذا الاسم مغزاه ويسمى مجله الخاص (عش البلبل)، ومن المعروف أنه لم يتم رحلة الحج بصحبة الخديوى. ولعل هذه الأمور المتناثرة تدل على أن شوقى لم يكن متديناً بالمعنى التقليدى لهذه الكلمة»[٣].

ومن أشعار أحمد شوقى والتى بسببها وجهت إليه انتقادات النقاد قصيدته التى بعنوان «مرقص» والتى استهلها بقوله:

مـــــــال واحتجـــــــب وادعـــــــى الغضـــــــب

---

(١) إسلاميات أحمد شوقى دراسة نقديه سعاد عبد الوهاب عبد الكريم ص ٢٠٠.
(٢) إسلاميات أحمد شوقى دراسة نقديه سعاد عبد الوهاب عبد الكريم ص ٢٠٠.
(٣) المصدر نفسه ص ١٤٦.

﴿ ٩٠٧ ﴾

ليـــــــت هـــــــاجرى يشـــــــرح الســـــــبب[٤]

تلك القصيدة التى جعلت أديباً مثل د/ أحمد هيكل يتناسى إسلاميات شوقى التى طغت على شعره، ويذكر جانباً من تحلله الدينى حين يبعد عن ميدان النضال، فيقول – مشيراً إلى الطابع الذى غلب على شعره: «فشوقى مثلا يدير كثيراً منه حول الحب والخمر والطبيعة، وما إلى ذلك مما تسمح به ظروفه المرفهة الناعمة»[١].

يقول شوقى فى حفل راقص أقيم بقصر عابدين، متحدثاً عن الخمر والنساء واللهو:

طـــــال عليهـــــا القـــــدم فهـــــى وجـــــود عـــــدم
قـــد وئـــدت فـــى الصبـــا وانبعثـــت فـــى الهـــرم
بـــــى رشـــــأ نـــــاعم مـــا عـــرف العمـــر هـــم
تســـــأل أترابهـــــا مومئـــــة بـــــالعنم
أى فتـــــى ذلكـــــن العربـــــى العلـــــم
يشـــــربها ســـــاهراً ليلتـــــه لـــــم ينـــــم
قلـــــن تجاهلتـــــه ذاك رب القلـــــم[٣]

فهذه الأشعار وغيرها هى التى جعلت بعض المؤرخين والنقاد يحكمون على شوقى بأنه كان يعيش حياة متحررة منطلقة دون قيود.

---

(٤) الشوقيات ج ٢ ص ١٤ – ١٧.
(١) تطور الأدب الحديث فى مصر أحمد هيكل ص ١٣٣، ١٣٤.
(٣) الشوقيات ج ٢ ص ٩٢ وكذا تطور الأدب الحديث فى مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية أحمد هيكل ص ١٣٣، ١٣٤ دار المعارف الطبعة الرابعة.

ومع ذلك فقد شهد له كثير من المؤرخين والنقاد – حتى بعض الذين انتقدوه – بوضوح الفكر الدينى فى شعره وأنه كان يؤمن بعقيدة التوحيد إيمانا لا ريب فيه، جعله يقف مواقف مشهودة من المسلمين وقادتهم، يتضح فيها صدق مشاعره الدينية من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قضية الخلافة الإسلامية فى العصر الحديث يقول: مصطفى صادق الرافعى مشيداً بدور شوقى فى التعبير عن فرحة المسلمين بالنصر: «وهنا جاء دور شوقى».

«الرجل الذى اختارته مصر دون أهلها جميعاً لتضع فيه روحها المتكلم» جاء ليتحدث باسم المسلمين جميعاً عن آية الله التى تجلت بهذا النصر»[١].

وقال عنه د/ أحمد محمد الحوفى «أنه كان راسخ العقيدة، وكان يؤمن ايمان تسليم لا يعتوره شك حتى لينسب الحماية والحراسة إلى كلمة التوحيد المسطورة على لوح، فينقلها من بيته القديم إلى بيته الجديد، وعرفنا أنه كان فى أخريات حياته كثير القراءة للتصوف الإسلامى، ورأيناه يبذل المال ويحضُّ على بذله أداء لفريضة الزكاة، وليس هذا شأن الصانع الذى يجارى هوى الخديوى وأهواء الناس، إنما هو شأن صاحب العقيدة الذى يصدر أدبه عن نفسه»[٢].

كما علل د/ أحمد محمد الحوفى شعره اللاهى بأنه كان فى فترة من حياته وكان إلى قلته لا ينبئ عن إغراق فى المجانة أو كلف بالخلاعة أو استهانة بإجلال الدين وتوقير أحكامه، وأكثره وصف لا حرارة فيه، وأغلب

(١) موقف شوقى والشعراء المصريين من الخلافة العثمانية عبد العليم القبانى ص ١٣٣ وكذا وحى القلم مصطفى صادق الرافعى ج ٣ ص ٢٣٤.
(٢) الإسلام فى شعر شوقى أحمد محمد الحوفى ص ١٣.

الظن أنه قصد من هذا الوصف إلى إظهار البراعة أكثر مما قصد إلى تصوير عواطفه. لهذا لم يستطع شعره اللاهى أن ينافس شعره الدينى لأن شعره الدينى تميز بالكثرة بالقياس إلى قصائده اللاهية، وتميز بأنه قرضه فى فترات طوال من حياته. فإذا نظرنا إلى إشاراته الدينية وإلى أفكاره وأخيلته المستمدة من الدين وجدناها لم تنقطع طيلة حياته(١).

كما نجد الدكتور زكى مبارك الذى ذكر أن «شوقى» كان يحسن أن يقول فى الخمر، شهد له بإنه انفرد «بالإفصاح عن جلال المدنيَّة الإسلامية، وتقديمها على مدنية المصريين واليونان والرومان».

ويستشهد على ذلك بقول شوقى:

دع عنك روما وآرثينا وما حوتا كل اليواقيت فى بغداد والتوم
وخل كسرى وإيوانا يدل به هوى على أثر النيران والأيم(٢)

ويقول عنه د/ نبيل طبوشة أن «شوقى قد توغلت فى نفسه عقيدة التوحيد التى بنى عليها الإسلام، وقام على أساسها نظامه، واستضاءت بنورها حضارته»(٣)

ويستشهد على ذلك بقول شوقى فى مديح الرسول صلى الله عليه وسلم:

بك يا ابن عبد الله قامت سمحة بالحق من ملل الهدى غراء
بنيت على التوحيد وهى حقيقة نادى بها سقراط والقدماء(٤)

---

(١) الإسلام فى شعر شوقى أحمد محمد الحوفى ص ١٣، ١٤ يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الكتاب الثالث ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.
(٢) الموازنة بين الشعراء أبحاث فى أصول النقد وأسرار البيان زكى مبارك ص ٢٣٩، ٢٤٠.
(٣) الاتجاه الإسلامى فى الشعر المصرى المحافظ من ١٨٨٢ إلى ١٩١٩ نبيل طبوشه الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠.
(٤) الشوقيات ج ١ ص ٣٤.

كما نجد د/ سعاد عبد الوهاب تصف شعر شوقى الإسلامى بالخصوبة وبالكثرة، فتقول: «شعر شوقى الإسلامى حسب تعداد الأبيات يعد الموضوع الطاغي والأهم، والأطوع فى دراسة التطور من القديم إلى الحديث وهو ليس مجرد أكثر الموضوعات التى عكست أهم المؤثرات فى شعر شوقى وحياته»(١). وقد تحدثت عن ظهور النزعة الدينية بوضوح فى شعر مدرسة الإحياء.

وقد شهدت لشوقى بالتفوق فى هذا المجال فقالت: «أما شوقى فقد تفوق على أقرانه من الشعراء فى شعره الإسلامى، وأصبح هذا التيار واضحاً فى صوره الشعرية، وأصبحت هذه القيم الدينية فى قداستها ومعطياتها تشكل جانباً من وعيه الشعرى»(٢).

والعاطفة تقدر بقوتها وحيويتها(٣)، وأول ما يتميز به الأدب القوى الصادق أنه تعبير عن العاطفة أو العواطف التى تجيش بنفس الأديب والأدب الذى لا ينبع من العواطف أدب زائف، يعوزه الصدق الشعورى، وتعوزه الحرارة، وقد يروق بهرجه وطلاؤه، ولكنه لا يبهر النفس ولا يستثير المشاعر.

والعاطفة الدينية من أقوى العواطف وأنبلها وأصدقها، لأنها تقوم على سبب صحيح وهو الدين، ومن هنا نستطيع أن نسأل سؤالا هل كان الشعر الدينى الذى قاله شوقى نابعاً من عاطفته؟ نعم، كان صدى لعاطفة صادقة قوية استمدت قوتها من الباعث عليها، وهو الدفاع عن الدين الإسلامى. أو الدعوة

(١) إسلاميات أحمد شوقى دراسة نقدية سعاد عبد الوهاب عبد الكريم المقدمة ص ٥.
(٢) اسلاميات أحمد شوقى دراسة نقدية سعاد عبد الوهاب عبد الكريم ص ٤، ٥.
(٣) النقد الأدبى أحمد أمين ص ٣١ الطبعة الثالثة: لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٣م.

إليه، أو الإعجاب بمبادئه وتعاليمه السمحة، أو الإشادة بحضارته، أو التمجيد لعظمائه وقادته.

ولم يكن فى بيئته أو وظيفته أو حياته ما يضطره إلى أن ينهج هذا النهج، فهذه العاطفة صادقة نبيلة سامية، لأنها موصولة بالخالق سبحانه وتعالى، ومتصلة بالنبى صلى الله عليه وسلم ومرتبطة بالشريعة وبمجد الإسلام والمسلمين، ولولا سلامة العقيدة وقوتها فى قلبه وأوصلنا شعره الإسلامى بهذه القوة، وتتمثل جوانب العقيدة فى شعر شوقى فى أمور كثيرة وسوف أعرض لبعضها فى الصفحات التالية من هذا البحث إن شاء الله تعالى ليتبين للقارئ سلامة العقيدة وقوة الإيمان عند أمير الشعراء أحمد شوقى، وأن إسلامياته الكثيرة المتنوعة التى امتلأ بها ديوانه وازدانت بها أشعاره لم تأت عفوا ولم تكن من فراغ.

أساس العقيدة فى شعر شوقى:

إن الشريعة الإسلامية هى آخر الشرائع السماوية، وتطلق على ما شرعه الله للعبادة من القصائد والأحكام، وقد قامت شريعة الإسلام على أساس قويم، فقد دعت إلى توحيد الله وعبادته، وقدمت منهجاً قويماً فيه خير البشرية، يلتزم به كل من جعلها شرعة له، ويجب عليه أن ترسخ فى قلبه عقيدة التوحيد، فيؤمن إيماناً لا شك فيه بوحدانية الله التى هى سر استقامة الحياة، وثبات النواميس، وصلاح الكون(١). قال تعالى: «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون»(٢).

والمتأمل فى شعر شوقى يستطيع أن يقف بسهولة ويسر على أساس العقيدة عنده، فشوقى يصرح فى كثير من أشعاره بأن الشريعة الإسلامية بنيت على توحيد الله سبحانه وتعالى، من ذلك قوله فى «الهمزية النبوية»:

بك يا ابن عبد الله قامت سمحة ... بالحق من ملل الهدى غراء(٣)

بنيت على التوحيد، وهى حقيقة ... نادى بها سقراط والقدماء(٤)

فالشريعة الإسلامية حقيقة لا تقبل الجدل، وقد قامت على عقيدة سليمة أساسها توحيد الله، وقضية التوحيد قضية قديمة حام حولها البشر منذ زمن قديم حيث نادى بها العلماء والعباقرة منذ القدم، وشوقى يردد هذا كثيراً فى شعره، ومن

(١) العصر الإسلامى شوقى ضيف ص ١١.
(٢) سورة الأنبياء الآية ٢١.
(٣) السمحة: الملة التى ليس فيها ضيق.
(٤) الشوقيات ج ١ ص ٣٤.

ذلك قوله فى قصيدته «نهج البردة»:

شريعة لك فجرت العقول بها عن زاخر بصنوف العلم ملتطم
يلوح حول سنا التوحيد جوهرها كالحلى للسيف أوكالوشى للعلم[١]

فالشريعة الإسلامية جوهرها توحيد الله، وهذا أمر لا جدال فيه عند أصحاب العقول السليمة، وشوقى يضرب المثل للرأى السديد الذى لا جدال فى سلامته بالعقيدة، فهى من المسلمات التى لا مجال فيها الرأى، فمن إيمان شوقى بالوحدانية قوله فى الشهادة «الشهادة قصيدة علوية الروى، مطلعها الله ومقطعها النبى، كلمة هى الدين، وهى كنه اليقين، وهى الحق المبين لم تزل مقدمة الكتاب، وفاتحة الخطاب، ومفتاح الباب... ومن عبقرية الشهادة - أماتنا الله وإياك عليها - أن حسن الظن بالله طالما أوقع فى نفوس الجماعات أنها أفضل عمل العبد عند ربه، وأنها ربما قامت مقام الأداء عن سائر الفرائض، حتى فرط المفرطون، وهم عليها يتكلون..»[٢].

كما يستدل شوقى بأشعاره على أن العقيدة من الأمور المسلم بها التى ليس فيها جدال بقوله فى رثاء مصطفى باشا فهمى:

والرأى إن أخلصت فيه سريرة مثل العقيدة فوق كل مراء[٣]

ثم نجده فى موضع آخر يقرر أن العقيدة من أنفس الأمور فى حياة الفرد والجماعة، ولذلك فهو يخبر عنها بأنها كنز عتيد يقول فى رثاء الشيخ عبد العزيز جاويش:

---

(١) الوشى: النقش انظر الشوقيات ج ١ ص ١٩١.
(٢) الإسلام فى شعر شوقى أحمد محمد الحوفى ص ٢٣.
(٣) المراء: الجدل انظر الشوقيات ج ٣ ص ٦.

﴿ ٩١٤ ﴾

ومن طلب الخلق من كنزه فإن العقيدة كنز عتيد[١]

وشوقى من الشعراء الذين اتسعت ثقافتهم الإسلامية ورسخت عقيدة التوحيد فى قلوبهم فهو لا ينكر حرية الاعتقاد إذ نصت آية كريمة على أن لاإكراه فى الدين»[٢].... فالناس لا يكرهون على الدخول فى الإسلام بل يتركون أحراراً وما اختاروا لأنفسهم فهو يقتبس من معانى القرآن وألفاظه ما يؤيد فكرته، وتخدم غرضه، وقصيدته «رسالة الناشئة» وهى من المزدوجات التى نادى بها جميل الزهاوى فى مطلع القرن العشرين وقد استطاع شوقى أن يتفوق فيه على الزهاوى والمتأمل فى هذه القصيدة يجدها تكشف عن عقلية إيمانية وعقيدة صحيحة. وقد استهلها شوقى بحمد الله والثناء على رسل الله وأنبيائه فقال:

أحمدك الله وأطرى الأنبياء مصدر الحكمة طرا والضياء

ونراه فى هذه القصيدة يدعو الناشئة إلى نبذ التعصب الدينى والعمل بما جاء فى القرآن الكريم بهذا الشأن، فيقول موجها:

قل إذا خاطبت غير المسلمين لكمودين رضيتم ولى دين
خل للديان فيهم شأنه إنه أولى بهم سبحانه[٣]

ففى هذه المزدوجة تتضح عقيدة شوقى الصحيحة التى جعلته يؤمن بوحدانية الله إيمانا صادقاً، ويدعو إلى الايمان الحقيقى الذى لا يخالطه أدنى شك.

(١) المصدر نفسه ج ٣ ص ٦٦.
(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٦.
(٣) الشوقيات ج ٤ ص ٤٠.

وشوقى الذى تربى على ضفاف النيل فى مصر، يرى أن هذا البلد – مصر – يعتقد بوحدانية الله منذ القدم، فقد مهد لحديثه عن (ايزيس) بأن الناس كانوا فى شوق شديد إلى معرفة الخالق سبحانه قبل أن يبعث رسلا وينزل كتبا، فذهبوا فى حدسهم مذاهب شتى، لكنها كلها تلتقى عند وجود الله وتوحيده والاعتراف بأنه مصدر القوى، فإذا كانوا قد تخيلوا القوى الها، فإن قوته شعاع من قوة الله، وإذا كانوا قد عبدوا الجميل فإن جماله طيف من جمال الله، وإذا كانوا قد عبدوا الأصنام والتماثيل فإنها رموز إلى واجب الوجود المنزه عن المماثلة، وإذا كانوا قد اعتقدوا فى الكواكب أنها آلهة فإنها بعلوها وبنورها قبس من علو الله ونوره، وإذا كانوا قد ألهوا الأشجار فإنها بخيراتها وحيويتها وجمالها من خلق الله، وإذا كانوا قد قدسوا الجبال لعظمتها فإنما أرادوا الخالق الذى منحها العظمة والرهبة، والذين عبدوا الملوك كانوا فى حاجة إلى من يبصرهم بأن الله ملك الملوك يعطى الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، وكذلك كان الذين عبدوا البحار والرياح والسباع والآباء والأمهات والأرحام محتاجين إلى من يهديهم إلى الخالق المهيمن على ما يعبدون، فهى مذكرة ومؤنثة من خلق الله ومن عبيده.

فيقول شوقى فى قصيدته «كبار الحوادث فى وادى النيل:

رب شقت العباد أزمان لا كتـ ـب بها يهتدى، ولا أنبياء[1]

ذهبوا فى الهوى مذاهب شتى جمعتها الحقيقة الزهراء[2]

---

(١) شاقة الحب إليه: هاجه. والمراد بالكتب: الكتب الإلهية التى تنزلت على الأنبياء.

(٢) الحقيقة الزهراء: هى وجود الله وتوحيده، ولقد تنوعت ديانة قدماء المصريين، فكانوا فى أول أمرهم يعتقدون بوجود إله واحد، ورمزت له كل قبيلة برمز خاص، ثم رموز الصفات هذا الإله برموز صارت بعدئذ معبودات ثم عبدوا الكائنات الطبيعية التى لها تأثير محسوس فى كيانهم ثم اعتقدوا بحلول الآلهه فى أجساد الحيوان.

فـــإذا لقبـــوا قويـــا إلهـــا فلـــه بـــالقوى إليـــك انتهـــاء
وإذا آثـــروا جميـــلا بتنزيـــ ـــه فـإن الجمـال منـك حبـاء[١]
وإذا أنشـــئوا التمـــاثيل غـــرا فـــإليك الرمـــوز والإيمـــاء[٢]
وإذا قـــدروا الكواكـــب أربـــا بـاً؛ فمنـك السنا ومنـك السـناء[٣]
وإذا ألهـــو النبـــات؛ فمـــق آ ثـــار نعمـــاك حســـنة والنمـــاء
وإذا يممـــوا الجبـــال ســـجوداً فـــالمراد الجلالـــة الشـــماء[٤]
وإذا تعبـد البحـار مـع الأسـ ـمـال والعاصفـات والأنـواء

وسـباع السـماء والأرض والأر حـــام، والأمهـــات، والآبـــاء
لعـــلاك المذكـــرات عبيـــد خضـــع والمؤنثـــات إمـــاء[٥]
جمـع الخلـق والفضيلـة سـر شف عنه الحجاب فهو ضياء[٦]

وبهذا استوعب الديانات البدائية، ورجع المعبودات كلها إلى أنها مظاهر متعددة لحيرة البشر وشوقهم إلى عبادة الله وحده وجميل منه قوله (رب شقت العباد) لأن فى كلمة (شقت) دلالات على حيرة الخلق وتطلعهم الدائم القوى إلى معرفة بارئهم المنعم عليهم بالحياة وبالخير، ومن شأن المنعم المجهول أن يشتاق إلى معرفته. وقد وفق شوقى فى أنه أوجز فى البيت الثانى تعدد الآلهة وإنتهاءها إلى حقيقة واضحة هى وجود الله ووحدانيته، ثم شرع يفصل بعد ذلك ويمثل، وفى كل مثال يقرر أن المعبود ما هو إلا مظهر من

(١) التنزيه: التقديس، والحباء: العطاء.
(٢) الرمز والإيماء: الإشارة.
(٣) السنا: الضوء. والسناء: الرفعة.
(٤) الشيماء: الرفيعة.
(٥) المذكرات: ما كان من هذه الآلهة مذكرا.
(٦) الشوقيات ج ١ ص ٢٢، ٢٣.

قوة الله وقدرته، وبعض مما خلق سبحانه.

ومن ذلك أيضاً قوله فى قصيدة «أيها النيل» التى وجهها إلى الأستاذ مرجليوث مدرس اللغة العربية فى جامعة أكسفورد:

فيه محل للأقانيم العلى ولجامع التوحيد فيه تعلق[١]

فقد رجع بنا شوقى إلى التاريخ المصرى القديم ليدلل على صدق دعواه بأن أهل مصر كانوا يعتقدون بوحدانية الله منذ القدم. ومن ذلك أيضاً قوله حين أراد أن يرثى مدينة «أدرنة» المقدونية فى قصيدته «الأندلس الجديدة» فقد عز على شوقى ما رأى فيها، وتحسر على تلك المدينة التى تحولت من مدينة كان يرفع أهلها نداء التوحيد إلى مدينة ساكنة خالية من الموحدين الذين يعتقدون أن الله واحد لا شريك له ولا ولد، كما لا يقام فى تلك المدينة صلوات الجمع الأسبوعية فيقول:

خفت الأذان. فما عليك موحد يسعى ولا الجمع الحسان تقام[٢]

التغنى باسم الجلالة (الله)

يستخدم شوقى فى معجمه الشعرى اسم الجلالة (الله) كثيرا حتى أن ذكر اسم الجلالة يرد فى أكثر من نصف ديوانه ويمكن أن نرجع استخدام شوقى اسم الجلالة بهذه الكثرة لسببين: الأول الاقتناع بوجود الله والإيمان به وتوحيده، والثانى تأثره بالقرآن الكريم الذى أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الأقانيم: جمع أقنوم وهو الأصل والشخص انظر الشوقيات ج ٢ ص ٧٢.

(٢) خفت: سكن وانقطع. والموحد: من يعتقد أن الله واحد لا شريك له ولا ولد. والجمع: هى صلوات الجمع الأسبوعية انظر الشوقيات ج ١ ص ٢٢٦.

والله – لفظ الجلالة – هو العلم الدال على الإله الواحد المعبود وبحق «رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا»[١]. والتغنى بلفظ الجلالة «الله» الواحد الأحد دليل الإيمان القوى الذى يتطلب من صاحبه الإيمان بوحدانية الله.

فقد دان شوقى بأن فى خلق السموات والأرض الدليل المقنع على وجود الله تعالى، فلا حاجة إلى أدلة العلماء وبراهين الفقهاء. وعلى الذى يشك فى وجود الخالق أن يتأمل قليلا فى صنعه العجيب، فلا يلبث شكه أن يتبدد، فيوقن بأن هذا الكون العظيم الدقيق الصنع المسير على نظم حكيمة مطردة ما هو إلا مظهر من مظاهر وجود الله القادر من ذلك قوله:

تلك الطبيعة؛ قف بنا يا سارى ... حتى أريك بديع صنع البارى
الأرض حولك والسماء اهتزتا ... لروائع الآيات والآثار
من كل ناطقة الجلال، كأنها ... أم الكتاب على لسان القارى[٢]
دلت على ملك الملوك فلم تدع ... لأدلة الفقهاء والأحبار[٣]
من شك فيه فنظرة فى صنعه ... تمحو أثيم الشك والإنكار[٤]

فهو مبهور بجمال الطبيعة، يرى فى جمالها وجلالها آثار قدرة الله الخالق، ويتسمع فى الأرض والسماء براهين على وجود الله كأنها الفاتحة تتلى على سمعه، وهذه البراهين القاطعة بوجود الخالق المسيطر مالك الملك تغنى عن التدليل العلمى والفلسفى، لأنها أقوى منه وأوضح، ثم أوجز الفكرة

(١) سورة مريم الآية ٦٥.
(٢) أم الكتاب: فاتحته.
(٣) الأخبار: جمع حبر وهو العالم وقيل الصالح من العلماء.
(٤) الشوقيات ج ٢ ص ٣٦.

﴿ ٩١٩ ﴾

فى البيت الأخير بتعبير لا يحتمل الشك إذ جعل نظرة واحدة فى صنع الله كفيلة بإزالة الشك فى وجوده، وقد أتحفنا شوقى بقصيدة رائعة عنون لها بلفظ الجلالة (الله). مكونة من ثمان وعشرين مقطوعة وهى تخضع فى موسيقاها للشعر الجديد فهى من بحر الكامل ومتعددة الروى بتعدد المقطوعات وهى خماسية تعد من أروع القصائد التى قالها شوقى وبرع فيها وأجاد، وكل مقطوعة منها تنطق بعظمة الخالق وقدرته فى كونه وقد استهلها بقوله:

الحق حجته هى الغراء هيهات فى فلق الصباح مراء
لا يطلبن الغاية الشعراء لو نال كنه جلالك الكبراء

آبت به (سيناء) و(الإسراء)[1]

وبعد هذا الاستهلاك الذى يبين فيه شوقى ووضح بالإدلة والبراهين وجود الخالق سبحانه وتعالى مع كونه «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير»[2]. وأنه سبحانه وتعالى تجلى على جبل سيناء، حين طلب نبيه موسى عليه السلام أن ينظر إليه ولكنه لم يستطيع رؤيته لأنه خر مغشيا عليه حين تجلى رب العزة للجبل الذى وقف عليه، ويصور ذلك قوله عز وجل: «قال رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا..»[3]، كما تجلى رب العزة لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فى ليلة الإسراء والمعراج كلمة عند سدرة المنتهى بلا واسطة بعد هذا ذكر شوقى أن الله القادر على كل شئ، هو الملجأ والملاذ للعقل والفكر والنفس فقال:

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٠٤.
(٢)
(٣) سورة الأعراف من الآية ١٤٣.

الوهم يبعد فى الظنون ويقرب والعقل فيك مسافر متغرب
والفكر يهرب حيث أنت المهرب والنفس غايتها إليك تقرب
وقصارها فى عفوك استذراء[١]

والله سبحانه وتعالى قد أطلق لعقل الإنسان حرية الفكر حتى أحاره بالشك ثم أراحه بعد ذلك بيقين الإيمان، ورسوخ العقيدة، وثبت له أن كل ما فى السموات والأرض يعبد الإله الواحد ونرى شوقى يصور لنا ذلك بقوله:

العقل أنت عقلته وسرحته وأصرت فيك دليله وأرحته
آتيته الحجر الأصم ونحته والنجم يعبد فوقه أو تحته[٢]
ما توهم الغبراء والخضراء[٣]

ثم ذكر شوقى بعد ذلك أن البشر يسبحون فى مشارق الأرض ومغاربها من قديم الأزل، وأنهم قد استمرؤا السم فى سبيل العقيدة والإيمان بالله، ثم عاد إلى العقل مرة أخرى، فبين حيرته فى ملكوت الله الذى تفرد بالوحدانية وظهرت وتجلت قدرته فى سمائه وأرضه وخلقه وفى كل ملكوته وأنه سبحانه وتعالى قد من على العقل بالتدرج فى معرفة الأمور والوصول إلى الحقيقة بالعلم والمعرفة وشوقى يصور لنا ذلك فيقول:

(بالهند) هلكى فى الهياكل سبح و(بمنف) كهان لكنهك سبحوا[٤]
والروم غرقى فى المحبة سبح (سقراط) مغدو عليه مصبح

(١) استذراء: التجاء. يقال استذريت بفلان أى التجأت إليه وصرت فى كنفه انظر لسان العرب لابن منظور مادة ذرا دار المعارف ١٩٨١م.
(٢) النجم: هنا بمعنين: البنت لا ساق له والكواكب. فيعود الضمير فى (فوقه) إلى البيت ويعود فى تحته إلى الكواكب.
(٣) الغبراء: الأرض. والخضراء: السماء.
(٤) سبح: جمع سابح، وهو فى البيت الأول بمعنى ساكن، وفى الثانى بمعنى عائم.

﴿ ٩٢١ ﴾

فيك الزعاف ومنه الاستمراء[١]

حيران يذهب فى السماء ويبحث ويثير وجه الأرض عنك ويبحث[٢]
ويلوذ بالأنواء حين تحتحث ويحس ما هالوا التراب وما حثوا[٣]

بيد تميت العالمين وراء[٤]

سلك السماء إلى سنانك معرجا والأرض نحو كريم سرك مدرجا
والوهم فيك إلى الحقيقة مخرجا علمته أخذ الأمور تدرجا

أصل الحقائق كلها استقراء

ثم يصور لنا شوقى فى هذه القصيدة ان إليه سبحانه وتعالى المرجع والملاذ فى السراء والضراء وفى الشدة والرخاء، والناس فى رفع شكواهم إليه سواء ولا يختلف الشاعر الحديث عن القديم فى الاتجاه إلى الله إذا ضاق به الأمر، ولا يختلف الشاعر الإسلامى عن الجاهلى فى الابتهال واللجوء إلى الله تعالى فلا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه.

وهو عز وجل مالك الملك بيده ملكوت كل شئ، وكل ما فى الأرض ملكه، وكل من فى الكون عبيده وخاضع له، لا فرق فى ذلك بين رسول وغيره، وملك ومملوك فالكل خاضع له، ويأوى إلى أنواره القريب والبعيد، ومآل الممالك والمملوك إلى الزوال والفناء والعدم، وهو سبحانه وتعالى المتفرد بالبقاء، وجميع خلقه فقراء إلى رحمته، ومن هنا فالقضاء والقدر بيده وحده، لاراد لقضائه ولا مفر من قدره، وهو الغالب الذى لا شئ فى الكون يغلبه، وأمره كما قال سبحانه وتعالى: «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن

(١) الزعاف: السم.
(٢) يبحث: يفتش والمراد العقل. ويبحث: يحضر.
(٣) تحتحث: يضطرب فيها البرق.
(٤) بيد تميت العالمين وراء: يد تقبض الأرواح كلما دفن الناس ميتا.

فيكون»[١]. ولا تستطيع قوة فى الأرض أن تقف أمام جند الله يصور لنا شوقى ذلك فيقول:

فى الدهر إذ هو ناهض لم يشرخ وإذا القدامى فى حلوم الأفرخ[٢]
لمح الشقى يد العناية والرخى خفضا الجناح لمستغاث مضرخ

يشكو البلاء إليه والضراء

موسى على (سينين) أعشى أرمد هو والجبال وأرض (مدين) همد
ودنا فخر إلى الخبين محمد ومضى سليمان ووجهك سرمد[٣]

يعنو له الأملاك والأمراء

بجلاله أضحى الجمال تعوذا وغدا الجمال على الجلال استحوذا
يأوى إلى سبحاته هذا وذا وتطيف أصناف المحامد لوذا[٤]

ماذا ينال المدح والإطراء

بيمينك الملك الذى لا يحصر خلت الممالك دونه والأعصر
وصحا الملوك من الغرور واقصروا كسرى وهارون الرشيد وقيصر

تحت التراب أذلة فقراء

ولك القضاء غراره ومحزه لا شئ فى هذا الوجود يعز[٥]
ترمى به ركن الثرى فتفزه تتناثر التيجان حين تهز

وتمزق الشهباء والخضراء[٦]

فنرى شوقى مؤمنا بالقدر مسلما لقضاء الله، وهو يرى أيضا أن أمر

---

(١) سورة يونس الآية ٨٢.
(٢) يشرخ: لم يشب. الأفراخ: لم تشتد.
(٣) السرور: الدائم النص لا ينقطع.
(٤) السبحات: الأنوار.
(٥) الغرار: يغلبه المحز: آلة الحز. يعزه: يغلبه.
(٦) الشهباء: الكتيبة العظيمة الموفورة السلاح. الخضراء: الكتيبة التى يعلوها سواد الحديد.

الطاعة والخشوع والعبودية لا يقتصر على الإنسان فحسب، بل يتعداه إلى الملائكة الكرام، فهم فى خشوع وطاعة دائمة ومطلقة، وثناء على الله، لا يعرفون طريق المعصية، ولا طريق المخالفة، ولما كان هناك تلازم بين الملائكة وعرش الرحمن، حيث إنهم يحملون عرش الرحمن ويسبحون بحمد ربهم، انتقل شوقى بعد ذلك إلى وصف العرش، الذى اختص الله به نفسه، ولم يصل إليه ملك أو رسول، ولم يشبهه شئ فى الأرض ولا فى السموات، ولا يرتقى خيال البشر إلى معرفة كنهه وحقيقته، فهو عرش واحد لله الواحد الأحد ووصف العرش بأنه محكم الصنع والإبداع لأنه من صنع الرحمن ثم ينتقل شوقى بعد ذلك إلى الحديث عن علم الله القديم النفيس المكنون، وعزه الحقيقى المحفوظ والمصون، وسلطانه ومجده الذى خضع له جميع خلقه، وبين أن البشر جميعاً وبخاصة العلماء منهم والأذكياء، لا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء، فالعلم سر من أسراره سبحانه وتعالى يهبه من يشاء من عباده، ثم انتقل بعد ذلك إلى بيان درجات القرب من الله والمحبة له يقول:

أما الملائكة الكرام فقبس لبسوا الحلى الحسنى وأنت الملبس
وعلى التحية والثناء تحبسوا خشعوا فلم يجروهما أو ينبسوا
إلا كما يتخافت القراء
ينزون بين مجنح ومريش نزو الفراش وما هم بالطيش[1]
حول الضياء الحاشد المتجيش ويجررون من الغلائل مايشى[2]
سر النعيم وتنسج السراء
عرش على أم العلى منصوصه من جوهر الحق المبين فصوصه[3]

(١) ينزون: يثبون.
(٢) المتجيش: المتوهج. وشى الثوب يشيه: نقشه ونمقه.
(٣) منصوصه: مرفوعه.

﴿ ٩٢٤ ﴾

جبريل وهو به القديم خصوصه ملقى الجناح إزاءه مقصوصه[١]
والرسل من أن يدعوه براء

فى منزل فوق الحساب وفرضه عال على مسرى الخيال وقرضه[٢]
فى طوله يغنى المكان وعرضه ما فى سماء الكون أو فى أرضه
مرداء تشبهه ولا شجراء[٣]

وكأنه نون يراعك خطها قد وفيت من حسن صوغك قسطها
لما اراد لك ابتداعك نقطها اعلاك فى السمت الأتم وحطها
قلم فأنت النقطة الزهراء

العلم ثم ضنائنا وحفائظا والعز ثم حقائقا وحفائظا[٤]
مجد أمات بك المكابر غائظا فأتاكِ مبذول المقادة فائظا[٥]
حيران ليس لدائه إبراء

عن هذه الأنوار يعشى يوشع فمن الرئيس وعلمه المتشعشع[٦]
أو من أرسطو والمشاة الخشع عصفت بهم ريح البلى فتقشعوا[٧]
ورحت رحاها فيهم الغبراء

لبسوا النبوغ من العناية مسبغا فتخيلوا وزها الذكاء النبغا[٨]
ما من أدل بما وهبت كمن بغى والناس ذو رأى وآخر ببغا
تحكى وتنقل عندها الآراء

---

(١) خصوصه: العلاقة الخاصة.
(٢) قرض قرضا: سار يعدل فى سيره بمينه ويسرة.
(٣) المرداء: الأرض لا شجر فيها.
(٤) الضنائن: جمع ضنينة من الضن: النفائس وهى ما تضمن به. حفائظ: جمع حفيظة وهى أولا بمعنى الحرز وثانيا بمعنى الذود عن الحرمات.
(٥) فاظ: مات.
(٦) الرئيس: ابن سينا، ويوشع: هو يوشع بن نون فتى موسى عليه السلام.
(٧) المشاه: تلاميذ افلاطون المعرقون بالمشائين.
(٨) النبغا: جمع نابغ.

يا رب مدنـى مـن حمـاك مشـنف ورهيـن إذن دون بـابل مدنـف[١]
حـارا مـن السـر الخفـى بنفنـف سر جلا لك صانه فالسـين فـى[٢]
يمنى يديه وفى الشمال الراء
بحـر المحبـة فـوق بـاع الـزورق والفلـك إن تذهـب ذراعـا تخـرق
فاجعل شراعك فيه عينك وافـرق كم فى تراقى الموج من يد مغرق
قبلت وأخرى خطها الإعراء[٣]

فنجد أن عقيدة شوقى الإيمانية تظهر فى كل دور من أدوار القصيدة، ولعل أهم التأثيرات الإسلامية التى تصادفنا فى شعر شوقى هو ما أقتبسـه مـن آيات القرآن الكريم. فمثل هذه التأثيرات تعد صلة مباشرة بالمصدر الأول الذى استوعبه المسلمون وتأثروا به شعراء وغير شعراء. وقد أصبحت آيات القرآن الكريم مصدراً أساسياً نهل منه شوقى من باب الاستشهاد علـى المواقـف التـى يصفها فى شعره.

ومن ثم نراه ينتقل من فكرة إيمانيـة عقيديـة إلـى فكـرة أخـرى، ونـور القرآن يتلألأ فى ثناياها، وقد حـرص شـوقى مـن جانبـه أن يثبـت للنـاس الذيـن وجهـوا إليـه الاتهـام بأنـه ليس علـى حظ مـن الثقافـة الدينيـة مثـل غيره مـن الشعراء، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فقد حـرص علـى أن يثبـت قدراتـه الفنية على استغلال هذا العنصر الإسلامى فى صميم فن الشـعر. ولذلك تكـثر الشواهد التى يمكن أن نلتمس فيها تلك التأثيرات عنده. فنراه يقتبس معنى قوله تعـالى: «وكـأين مـن آيـة فـى السـموات والأرض يمـرون عليهـا وهـم عنهـا

(١) المشنف: المحلى والمراد المقرب الموهوب دنف المريض دنفا: اشتد مرضه.
(٢) النفنف: البيداء المتسعة.
(٣) الإعراء: الترك يقال: أعرى القوم صاحبهم: تركوه.

معرضون»[١].

ليكشف لنا عن موقف المشركين من آيات الله الكونية المتعددة وإعراضهم وتوليهم عنها، وهى تستوجب الإيمان بها لكل من رأها، لما لها من عظيم الأثر على البشر وكثرتها فى الكون، ولكن كيف يتأتى لهم ذلك وقد عمت بصائرهم وصمت أسماعهم وعلت الغشاوة أبصارهم، يصور ذلك شوقى مخاطباً ربه مسبحا بحمده فيقول:

كم آية لك لم يجدها المشرك غراء بالبصر المجرد تدرك
فلك «منوط» فى الفضاء محرك هل ثار فيه من الثوابت مبرك[٢]

أم عى سيار به سراءُ
ذو الرمح فيه على وداد الأعزل والفرقدان عن اللداد بمعزل[٣]
ويد الغزالة فوق أشرف مغزل والبدر كل ملاوة فى منزل[٤]
حتى تحل شراكه العفراء[٥]

وقضية الرزق والهداية لا يتصرف ويتحكم فيها إلا الله عز وجل، فهو الرازق ذو القوة المتين والهادى إلى سواء السبيل، يهدى من يشاء وما يشاء، ويرزق من يشاء بغير حساب، وهما قضيتان حيرتا العقلاء منذ قديم الزمان، لأن الرزق والهداية لا علاقة لهما بالعقل أو عدمه، فهما من أسرار الخالق عز وجل، وقد عرض شوقى لهاتين القضيتين اللتين حيرتا العقلاء

(١) سورة يوسف الآية ١٠٥.
(٢) مبرك: ثابت.
(٣) الأعزل: ذو الرمح والأمل والأعزل: هما السماكان والمراد أن هذه النجوم تسير بنظام واتفاق.
(٤) مغزل: المراد بالغزل هنا إرسال الأشعة. ملاوة: برهة من الدهر.
(٥) العفراء: الليلة الثالثة عشرة من الشهر الهجرى.

والعلماء، وأمرهما مفوض إلى الله وحده، يقول شوقى معبرا عن ذلك:

النمل ينجد فى المعاش ويتهم فبأى رأس أو فؤاد يفهم
رب يضل مكانه المتوهم لولا يد تحدو وهادٍ مُلْهم
لم يبد منه الحزم والنكراء[١]

والرزق سر لم ينل مكنونه ضنت به كاف السماح ونونه
كذب الحريص وحرصه وفنونه ستعوده سوداؤه وجنونه
ما دامت البيضاء والصفراء[٢]

ثم يعرض شوقى لقضية الفناء، وكيف قضى الله على جميع خلقه بالموت والفناء، قال عز وجل: «كل شئ هالك إلا وجهه»[٣] تلك القضية التى لم ينج منها أحد، واختار شوقى فرعون واختصه بالحديث دون غيره من سائل الخلق وذلك لأنه ادعى الألوهية والربوبية، ومن كان فى هذه المنزله لا يناله الموت، فمرة يقول رب العزة على لسان فرعون «ما علمت لكم من إله غيرى»[٤]. ومرة ثانية يقول على لسانه أيضا: «.. أنا ربكم الأعلى»[٥]. وطلب من هامان أن يبنى له صرحا يبلغ أسباب السماء فيطلع إلى إله موسى يقول شوقى مصورا ذلك:

فرعون لم يخلد ولا أشباهه لم يغن عنه من البناء نباهه[٦]
ملأ أتاك عتيُّه وسباهه نزلت على حكم التراب جباهه[٧]

(١) النكراء: الدهاء والفطنه.
(٢) السوداء: عند القدماء: أحد الأخلاط الأربعة فى الجسم وهى: الصفراء والدم البلغم والسوداء وهى (المالنخوليا)، والبيضاء: الفضة، والصفراء: الذهب.
(٣) سورة القصص الآية ٨٨.
(٤) سورة القصص الآية ٣٨.
(٥) سورة النازعات الآية ٢٤.
(٦) النباه: الرفعة.
(٧) السباه: المتكبر.

وكذا يكون الحكم والإجراء

بالموت أذللت النفوس وبالهوى وقهرت من وطنى التراب ومن هوى[١]

يبكى عليه الأهل والعشراء

ويختم شوقى قصيدته الرائعة بتوحيد الله، وأنه منزه عن الشرك والمماثل والنظير، وكل الأنبياء والمرسلين يلوذون به، ويسبحون بحمده ويرتلون ما نزل عليهم من عند الله؛ فيقول شوقى فى آخر مقطوعة من هذه القصيدة الإيمانية التى نطقت كل مقطوعة منها، بل كل بيت منها، بل كل لفظ منها بعمق العقيدة وقوة الإيمان عند شوقى جامعاً بين سحر البيان وجمال الموسيقى:

لم يأل داود الصلاة مثانيا ويسوع دمعا والبشير مثانيا

وتنور الوادى زى مثانيا فسما الكليم فما توسم ثانيا[٢]

أنى لك الشركاء والنظراء[٣]

وشوقى الذى اتحفنا بهذه القصيدة الرائعة التى سبح فيها بحمد الله، والتى بينت وأظهرت عمق إيمانه وقوة عقيدته، وعنون لها بلفظ الجلالة «الله»، قد عنون لعقيدة أخرى - فى شوقياته - فجعلها تحت عنوان «الله والعلم»[٤] وهى من الشعر العمودى، وقد التزم شوقى فيها وحدة الوزن والقافية؛ فهى من بحر الطويل؛ واستهلها بهذا البيت الذى يكشف عن قوة وعظمة ملك «الله» وأنه سبحانه ملك الأملاك وبيده ملكوت كل شئ فقال:

---

(١) هوى: ارتفع والثانية: سقط.

(٢) مثانيا: الأولى مزامير داود، والثانية: آيات التنزيل، والثالثة: معاطف الوادى.

(٣) القصيدة نشرت فى مجلة «الهلال» عددها مايو ١٩٢٤م ولم تدون فى الشوقيات.

(٤) نظم شوقى هذه القصيدة فى مناسبة تتويج الملك إدوارد السابع وتأجيل إقامة الحفلة لإصابة جلالته بدُمّل وذلك فى سنة ١٩٠٢م.

لمن ذلك الملك الذى عز جانبه؟ لقد وعظ الأملاك والناس صاحبه[١]

فشوقى يقدر العلم أعظم تقدير، ويؤمن فى مناسبات شتى بمقدرة العلم على الابتكار والاختراع، ولكنه يؤكد أن علم الله معجز، وإيمانه بقضاء الله وقدره كان أقوى، لأنه حصر إيمانه بمقدرة العلم وأعاجيبه فى نطاق لا يتعداه، إذ أن العلماء بشر خلقهم الله، وعلمهم ما هو إلا قطرة من بحار علمه، وهم وعلمهم ومخترعاتهم بيد الله تعالى لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا.

ولقد يعرض المرض الهين للملك إدوارد السابع وقد أعد كل شئ يتناسب مع عظمة حفل تتويجه، ولكنه لم يعمل حسابا لقدر الله وعلمه الغيبى الذى تفرد به سبحانه، ويصور شوقى ذلك فيقول:

أعد لها إدورد أعياد تاجه وما فى حساب الله ما هو حاسبه

وبعد أن تم تأجيل تتويج الملك إدوارد السابع بسبب (الدمل) الذى أصابه، وعادت الوفود المهنئة من مشارق الأرض ومغاربها إلى بلادها، وما كان يردها شئ غير قدر الله الذى خبأه للملك المتوج، فنجد شوقى يتغنى بعظمة الله فى كونه، وانه هو واهب الملوك عروشهم وتيجانهم، وأن الأمر كله بيديه وليس للإنسان من الأمر شئ وهنا تتجلى قدرة الله، فيقول:

لك الملك يا من خص بالعز ذاته ومن فوق آراب الملوك مآربه[٢]
فلا عرش إلا أنت وارث عزه ولا تاج إلا أنت بالحق كاسبه[٣]

(١) عز جانبه: قوى. وعظ الأملاك والناس: نصحهم وذكرهم بالعواقب.
(٢) خصة بالشئ: جعله له دون سواه. والآراب: جمع أرب، وهو الحاجة.
(٣) العرش: سرير الملك. والتاج: أصله للعجم، يقال توج إذا لبس التاج، كاسبه: نائله ورابحه.

ثم يكشف شوقى عن عظمة العلم، ويعلن عن إيمانه بمقدرة العلم، وأنه من نور الله الذى أضاء به الظلمات، وأن الله سبحانه وتعالى عالم الغيب، وصفه العلم له صفة كشف لما يجرى فى الكون، وأنه يعلم ما ظهر لنا وما غاب عنا، فيقول:

وآمنت بالعلم الذى أنت نوره ومنك آياديه، ومنك مناقبه[١]
تؤامن من خوف به كل غالب على أمره فى الأرض، والداء غالبه[٢]

ثم يختتم شوقى قصيدته بما يؤكد إيمانه القوى والكامل بالله المدبر شئون هذا الكون، وبالعلم الذى تفضل الله به ومن على البشرية، وعم نوره على الناس أجمعين، وبه يرفع العلماء على سائل،الناس، فيقول:

فآمنت بالله الذى عز شأنه وآمنت بالعلم الذى عز طالبه[٣]

فكما قلنا أن شوقى كثيراً ما يتغنى بلفظ الجلالة (الله) حتى أن ذكر اسم الجلالة يرد فى أكثر من تصف ديوانه، ومن تلك الأبيات على سبيل المثال – قوله –:

الله فوق الخلق فيها وحده والناس تحت لوائها أكفاء[٤]

فشوقى يشير فى هذا البيت إلى أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق للحياة والكون.

ويقول فى قصيدته (رمضان ولى) والتى يهنئ فيها الخديوى بعيد الفطر ويعتذر عن شرب الخمر، لينسى همومه وأحزانه وعالم النفاق الذى يعيش

---

(١) أياديه: جمع يد، وهى هنا لنعمة ومناقبه: جمع منقبة، وهى الفعل الطيب.
(٢) تؤامن: أى تعطى الأمان. وكل غالب على أمره: أى لا يعجزه شئ.
(٣) عز شأنه: قوى. وطالب العلم: محصله الشوقيات ج ١ ص ٧٤ وما بعدها.
(٤)

فيه. وشوقى يعلم فى ذلك أنه مذنب بدليل التماسه الأعذار وطلب المغفرة من الله، ولعل الله يقبل توبته ويغفر له:

اللـــه غفـــار الذنـــوب جميعهـــا إن كـان ثـم مـــن الذنـــوب بواقـــي[١]

والله بذاته رحمة وعدل، وقد فضل الله دور العدل على دور القوة يقول شوقى:

واللـــه يعلـــم أن فـــى خلفائـــه عـدلا يقيـم الملـك حيـــن يميـــل[٢]

ويرد اسم الجلالة عند شوقى فى معرض القسم به، يقول:

بالله جل جلاله، بمحمد بيســـوع، بـــالغزى لا تتفرقـــوا[٣]

ومن ذلك أيضاً قوله:

بالله يـا نسمات النيل فـــى السـحر هل عندكن عن الأحباب من خبر[٤]

ويقول شوقى فى معرض (الحمد لله):

بحمـــــد اللـــــه رب العالمينـــــا وحمـــدك يـــا أمـــير المؤمنينـــا[٥]

ومن ذلك أيضاً قوله فى تمجيد الله:

اسـم الجلالـة فـــى بديـــع حروفـــه ألـف هنـالك واسـم (طـه) البـاء[٦]

فهو – سبحانه – الأول بلا ابتداء، وهو قبل كل شئ، فهل هناك فى

(١) الشوقيات ج ٢ ص ٧٧.
(٢) المصدر نفسه ج ٣ ص ١١٩.
(٣) المصدر نفسه ج ٣ ص ١١٣.
(٤) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٢٣.
(٥) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٦٩.
(٦) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٠.

حروف الهجاء حرف قبل الألف؟ بالطبع لا، فاسم الجلالة هو (الألف) واسم الرسول صلى الله عليه وسلم هو (الباء) لاتيانه فى المرتبة الثانية بعدها. فالكلام على سبيل المجاز، وذلك تمجيد لله الواحد الأحد.

وهذا قليل من كثير، ومن أراد المزيد فليرجع إلى «الشوقيات» ليرى أن شوقى كان مولعا بالتغنى بذكر لفظ الجلالة (الله) فى كثير من قصائده.

العبودية لله فى شعر شوقى:

وعقيدة التوحيد تتطلب من المؤمن أن يكون عبدا لله، وأن تكون مظاهر العبودية واضحة فى أقواله وأفعاله وسلوكه وأخلاقه؛ فيكون عبدا مطيعا ملتزماً بما فرضه الإسلام من العباداتّ، فأهم واجب على المؤمن وأعظم فريضة عليه أن يعبد ربه سبحانه رب السموات والأرض ورب العرش العظيم فقد أخبر سبحانه وتعالى أنه خلق الثقلين لعبادته فقال عز وجل «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»[1] وهذه العبارة التى خلق الله الثقلين من أجلها هى توحيده بأنواع العبادات من الصلاة والصوم والزكاة والحج والركوع والسجود والطواف والذبح والنذر والخوف والرجاء والاستغاثة والاستعاذة وسائر أنواع الدعاء ويدخل فى ذلك طاعته سبحانه فى جميع أوامره وترك نواهيه على ما دل عليه كتابه الكريم وسنة رسوله الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم، وقد أمر الله سبحانه جميع الثقلين بهذه العبادة التى خلقوا لها وأرسل الرسل جميعاً وأنزل الكتب لبيان هذه العبادة وتفضيلها والدعوة إليها والأمر بإخلاصها لله وحده[2].

---

(١) سورة الذاريات الآية ٥٦.

(٢) العقيدة الصحيحة وما يضادها ورسالة المعية عبد العزيز بن عبد الله بن باز ص ٢٨ وزارة الشئون الإسلامية ١٤٢٠هـ.

وشعر شوقى تتجلى فيه تلك المظاهر بوضوح تام، فقد آمن شوقى بالعبادات، ونوه بآثارها فى تطهير النفوس وصلاح المجتمعات. فقد قال فى الصلاة: «لو لم تكن رأس العبادات، لعدت من صالحة العادات، رياضة أبدان، وطهارة أردان، وتهذيب وجدان، وشتى فضائل يشب عليها الجوارى والغلمان.

أصحابها هم الصابرون والمثابرون، عودتهم البكور وهو مفتاح باب الرزق، وخير ما يعالج به العبد مناجاة الرازق، وأفضل ما يرود به المخلوق التوجيه إلى الخالق انظر جلال الجمع، وتأمل أثرها فى المجتمع، وكيف ساوت العلية بالزمع؟ مست الأرض الجباه فالناس أكفاء وأشباه...»[١].

وقال فى الزكاة: «حزب الاشتراكية، وحرب البلشفية».

«أيها الناس أمر الله فصليتم، ونهى المال فما زكيتم، فرقتم بين الخمس وكلها حكم الواحد، فلكل ألف مصل مزك واحد، هى مال الفقير خلستموه، ورزق المحروم حبستموه، وحق العاجز فى الحياة بخستموه. تقرضون الولاة، ولا تقرضون الله، وتنفقون تملقاً لأهل الجاه، ولا تنفقون تعلقا بالنجاة...»[٢].

فالزكاة ركن من أركان الإسلام، لا يتم إلا بها. نظر شوقى إلى الزكاة هذه النظرة، ورأى أنها عهد بين الإنسان وربه. وبينه وبين المجتمع الذى يعيش فيه، فليس تفضلا من غنى على فقير، وليست اتاوة تجبى من الأغنياء بالقوة، وقال أن الزكاة ميدان يتساوى فيه الكرماء والبخلاء، لأنهم جميعاً يخرجونها، فهى انتصاف للفقراء من الأغنياء. لأن المشاركة فى بعض المال حق مشاع كحق الحياة، لهذا يشعر الفقراء وهم أكثر الشعوب وقوام حياتها بأن

(١) أسواق الذهب أحمد شوقى ص ٨١ مطبعة الاستقامة – القاهرة سنة ١٩٥١م.
(٢) اسواق الذهب أحمد شوقى ص ٨٥.

﴿ ٩٣٤ ﴾

الإسلام أنصفهم ورفع من أقدارهم، ولو جاز أن تعرض عليهم الأديان السابقة ليختاروا لهم دينا ما أختاروا غير الإسلام يقول شوقى فى ذلك:

الاشتراكيون أنت أمامهم لولا دعاوى القوم والغلواء[1]

داويت متئدا وداودا طفرة وأخف من بعض الدواء الداء
والبر عندك ذمة وفريضة لامنة ممنونة وجباء[2]
جاءت فوحدت الزكاة سبيله حتى التقى الكرماء والبخلاء
أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى فالكل فى حق الحياة سواء
فلو أن انسانا تخير ملة ما اختار إلا دينك الفقراء

وعاد شوقى إلى الزكاة فى موضع آخر، فحمل على البخلاء الذين يكنزون المال وسمى حرصهم مرضا عضالا لا نظير له، ونهى عن الاستسلام لشعار المال، وحض على القناعة منه بالقدر الكافى، وقاس هذا القدر الكافى بالطعام والشراب الكفيلين بصيانة الحياة وحفظ القوة، ولم ينس ما يدخره صاحب المال لمستقبله ولملاقاة أحداث الدهر، ولتوريث بنيه، كما لم ينسى حق الله فى هذا المال فأوصى باخراجه طاعة وأملا فى الثواب. ثم عجب من أناس يصلون ويصومون رياء للناس، وتظاهرا بلباس التقوى، وهم صم عن تلبية من يدعوهم إلى إخراج الزكاة، كأنها ليست ركنا من أركان الإسلام مثل الصوم والصلاة، وكأنهم بذلك لا يعلمون أن الزكاة نصيب الله فى مالهم، وأنهم إذ يشحون بنصيب الله فإنما يؤثرون المال على حب الله، وفى هذا ما فيه من خيبة وضلال.

---

(١) الغلواء: الغلو ومجاوزة الحد.

(٢) البر: التوسع فى الاحسان. ذمة عهد. منه: عطية. ممنونة: محسوبة ومقطوعة أو متبوعة بالمن وهو التذكير بالمعروف. جباء: من جبى الخراج أو جمعه.

﴿ ٩٣٥ ﴾

ثم نجده يزيد هذه الدعوة تفصيلا، فقال أن الله أراد من الأغنياء أن يبروا اخوانهم الفقراء، وأراد من الأغنياء أن يبروا اليتامى ويحبوهم ويساهموا فى تربيتهم، وهو سبحانه وتعالى يريد أن يكون المال شركة بين عباده وأن كان قد آثر بعض عباده بالثراء، فإذا كان لم يحرم المجتهد فى تجارته أو زراعته أو صناعته ثمرات جده فإنه أوصاه بالفقير والبائس والمحروم، فقدر له نصيباً من ماله، وهذه هى المشاركة فى الرزق. ولو أن الاغنياء جادوا بمالهم، ولم يضنوا به على الفقراء ما هلك الفقراء، وما سخطوا حظهم من الحياة، وما نقموا على الأغنياء. لكن بعض الأغنياء قلوبهم كالحجارة، طالما لا مهم شوقى، وطالما دعاهم إلى البر رسل ومصلحون من قبل حتى ملوا دعوته. ثم نراه يضرب أمثلة لاشتراك الأغنياء والفقراء فى قوام الحياة، فالهواء يملأ الأكواخ كما يملأ القصور، والشمس تشرق على الأرض المجدبة الفقر كما تشرق على قصر الملك وحماه، والماء يروى الكلاب كما يروى الأسود. وهو يريد بهذه الأمثال أن يزيد الدعوة إلى المشاركة فى المال وضوحاً وتأثيراً فى النفوس.

ويصور شوقى ذلك فيقول:

فلم أر غير حكم الله حكما ... ولم أر دون باب الله بابا
ولم أر مثل جمع المال داء ... ولا مثل البخيل به مصابا
فلا تقتلك شهوته، وزنها ... كما تزن الطعام أو الشرابا
وخذ لبنيك والأيام ذخرا ... وأعط الله حصته احتسابا[1]
وأن البر خير فى حياة ... وأبقى بعد صاحبه ثوابا

(١) احتسب عند الله أمرا: قدمه.

﴿ ٩٣٦ ﴾

عجبت لمعشر صلوا وصاموا عواهر، خشية وتقى كذابا[١]
وتلفيهم حيال المال صمما إذا داعى الزكاة بهم أهابا[٢]
لقد كتموا نصيب الله منه كأن الله لم يحص النصابا

ومن يعدل بحب الله شيئا كحب المال؛ ضل هوى وخابا
أراد الله بالفقراء برا وبالأيتام حبا وارتبابا[٣]
يريد الخالق الرزق اشتراكا وإن يك خص أقواما وحابى[٤]
فما حرم المجد جنى يديه ولا نسى الشقى ولا المصابا[٥]
ولولا البخل لم يهلك فريق على الأقدار تلقاهم غضابا
تعبت بأهله لوما وقبلى دعاة البر قد سئموا الخطابا
ولو أنى خطبت على جماد فجرت به الينابيع العذابا
ألم تر للهواء جرى فأفضى إلى الأكواخ، واخترق القبابا[٦]؟
وأن الشمس فى الآفاق تغشى حمى كسرى، كما تغشى اليبابا[٧]؟
وأن الماء تروى الأسد منه ويشفى من تلعلعها الكلابا[٨]؟

وقال شوقى فى الصوم: «حرمان مشروع، وتأديب بالجوع، وخشوع لله وخضوع – يبستثير الشفقة، ويحض على الصدقة، يكسر الكبر، ويعلم الصبر، ويسن خلال البر.....»[٩].

---

(١) الكذاب: الكذب.
(٢) أهاب به: دعاه.
(٣) وارتبابا: ارتب الصبى ارتبابا: رباه حتى أدرك.
(٤) حاباه: اختصه ومال إليه.
(٥) الجنى: ما تجنى من الشجر.
(٦) أفضى: بلغ.
(٧) اليبابا: القفر.
(٨) تلعلع الكلب: دلع لسانه عطشا. الشوقيات ج ١ ص ٦٤، ٦٥.
(٩) أسواق الذهب أحمد شوقى ص ٨٤.

﴿ ٩٣٧ ﴾

وقال فى الحج: «موكب الإسلام ومظهره، ولباب حسبه وجوهره، وموسمه الحرام أشهره، مهرجانه العظيم، وعرسه الفخيم، ونديه الكريم، والنظم الذى قرن فيه الدنيا إلى دينه القويم، فجعله لها صلاها وعمارة، وملأها بيمنه نما ويساره[١]، وأفاض بركاته على التجارة....»[٢].

وقد جمع شوقى كل هذه العبادات فى قصيدته «رسالة الناشئة» حيث يقول منها بعد مجموعة من النصائح العظيمة القيمة التى قدمها للناشئة يحثهم على مكارم الأخلاق:

يا مديم الصوم فى الشهر الكريم صم عن الغيبة يوماً والنميم
وإذا صليت خف من تعبد كم مصل ضج منه المسجد!
واجعل الحج إلى «أم القرى» غب حج لبيوت الفقرا
هكذا «طه» ومن كان معه من وقار الله ألا تخدعه
وتسمح وتوسع فى الزكاه إنها محبوبة عند الإله
فرض البر بها فرض حكيم فإذا ما زدت فالله كريم[٣]

فقد جاء شوقى بهذه الأوامر الدينية التى كساها وألبسها ثوب النصائح العظيمة القيمة التى تقضى بوجوب الالتزام بتلك العبادات والمحافظة والدوام عليها؛ انتقل بعد ذلك إلى تحذير الناشئة من بعض الأمور التى حرصها الإسلام، ونهى عنها، لما لها من أضرار اخلاقية واجتماعية؛ فقال:

واترك الخمر لمشغوف بها لا يرى مندوحة عن شربها
لا تنادم غير مأمون كريم إن عقل البعض فى كف النديم

(١) ويساره: غنى.
(٢) المصدر نفسه ص ٨٦.
(٣) الشوقيات ج ٤ ص ٤٢.

وعن الميسر ما اسطعت ابتعد فهو سل المال بل سل الكبر
وتعشق وتعفف واتق مادرى اللذة من لم تعشق! (١)

وهذا أكبر دليل على سلامة العقيدة عند شوقى والتى اقتضت الامتثال لأوامر الشرع ونواهيه، وإن كان تحذيره من الخمر فيه بعض الضعف، ولا غرابة فى ذلك فهو الذى هتف بالساقى يطلبها منه فى موضع آخر قد سبق الاشارة إليه وذلك حين قال:

رمضان ولى هاتها يا ساقى مشتاقة تسعى إلى مشتاق(٢)

وشوقى يثنى على أهل الفطرة من عهد آدم الذين سلمت عقيدتهم، ولم يخالطها شك ولا جهالة، ولم يعبدوا ويسجدوا لغيرِ الله، ففى قصيدته «رحالة الشرق»(٣) يصور شوقى ذلك فيقول:

وهل مررت بأقوام كفطرتهم من عهد آدم لا خبث ولا طبع؟ (٤)
ومن عجيب لغير الله ما سجدوا على الغلا، ولغير الله ما ركعوا
كيف اهتدى لهم الإسلام، وانتقلت إليهم الصلوات الخمس والجمع؟ (٥)

ونجد شوقى حريصاً على إقامة الشعائر من الصلاة والصوم والزكاة، وقد اشترط شوقى على العابد أن يتقنها، وأن تكون العبادة منهجاً له تقوم سلوكه، وتهذبْ أخلاقه، وتحسن معاملاته؛ فيقول شوقى ناصحاً وموجها فى رباعيته «معالى العهد» وهى من الشعر التجديدى فى الموسيقى، حيث لم

(١) المصدر نفسه ج ٤ ص ٤٢.
(٢) الشوقيات ج ٢ ص ٧٧.
(٣) رحالة الشرق: هو الرحالة المصرى الكبير أحمد حسنين الذى قام برحلة طويلة شاقة فى صحراء ليبيا ليكشف للناس عن مجاهل هذه البيداء.
(٤) الطبع: الشين، والعيب، والدنس.
(٥) الشوقيات ج ١ ص ١٤٧.

يلتزم فيها وحدة القافية والروى، والتزم فيها بحر الوافر:

وصل صلاة من يرجو ويخشى وقبل الصوم صم عن كل فحشا
ولا تحسب بأن الله يرشى وأن مزكيا أمن الجحيما

لكل جنى زكاة فى الحياة ومعنى البر فى لفظ الزكاة
وما لله فينا من جباة ولا هو لا مرئ زكى غريما
فإن تلك عالماً فاعمل، وفطن وإن تك حاكما فاعدل، وأحسن
وإن تك صانعاً شيئاً فأتقن وكن للفرض بعدئذ مقيما[1]

كما نجد شوقى يظهر إعجابه عن تيقن العبادة، ويصوره فى صورة الملك، فيقول:

يا ملكا تعبدا مصليا موحدا[2]

فقد استهل مطلع قصيدته «المرأة العثمانية» بالثناء عليها لأنها العابدة المصلية الموحدة، وهكذا تظهر بوضوح وجلاء مظاهر العبودية لله وحده فى شعر شوقى، وذلك خير دليل على سلامة العقيدة عنده.

إيمانه بالقضاء والقدر:

مشكلة القضاء والقدرة قديمة متجددة، طالما شغلت رجال الديانات والفلاسفة ولم يستطع أحد أن يصل فيها إلى رأى حاسم. فعلى المؤمن أن يسعى ما وسعه الجهد، ثم يرضى بقضاء الله وقدره ويصبر صبرا جميلاً.
فمن أركان الإيمان بالله؛ الإيمان بالقضاء والقدر وفى الحديث الشريف: «وأن

(١) المصدر نفسه ج ٤ ص ٣٥، ٣٦.
(٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٨.

تؤمن بالقدر خيره وشره»[١].

وهو خير دليل على سلامة عقيدة الإنسان المؤمن الذى يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، فهو يسلم للقدر فى أمور حياته كلها، ويرضى بقضاء الله فى السراء والضراء وفى الشدة والرخاء، وشعر شوقى شاهد له بذلك، فهو دائم الترديد لقضية الإيمان بالقضاء والتسليم للقدر، يجد فى الاذعان له راحة للنفس من بلابلها، وينادى بأن المؤمن يتسخط ولا يتبرم بما نزل به، وماذا فى السخط من عائده؟ وماذا فى الجزع من فائدة؟.

لكنه لم يرتض الاستهانة بالواجب، ولم يدع إلى الاستكانة، اتكالا على تصاريف القضاء، فإن الإسلام يأمر بالعمل والجد والحيطة، فإذا جاء القضاء، بغير ما يؤمل المسلم فعليه أن يرضى ويصير، لأن الجزع لا يرد ما فات، ولأن لله حكمة فى قضائه لا ندركها، يصور شوقى ذلك فيقول:

سبحان من لا عز إلا عزه ... يبقى ولم يك ملكه ليزولا
لا تستطيع النفس فى ملكوته ... إلا رضا بقضائه وقبولا
الخير فيما اختاره لعباده ... لا يظلم الله العباد فتيلا
يا أهل مصر كلوا الأمور لربكم ... فالله خير مؤئلا ووكيلا
جرت الأمور مع القضاء لغاية ... وأقرها من يملك التحويلا
وإذا أراد الله أمرا لم تجد ... لقضائه ردا ولا تبديلا[٢]

وما دام القدر نافذا لا محالة، فعلى الإنسان أن يهئ نفسه ويستعد لمجريات القدر، لأن دوام الحال من المحال، ومن هنا فهو يدعو الناشئة إلى

(١) صحيح الإمام مسلم بشرح النووى ج ١ كتاب الإيمان المطبعة المصرية بدون تاريخ.
(٢) الشوقيات المصرية بدون تاريخ.

الاستعداد للقضاء والقدر؟

فيقول:

كـل حـال صـائر يومـا لضـد فـدع الأقـدار تجـرى واسـتعد

فلـك بالسـعد والنحـس يـدور لا تعـارض أبـدا مجـرى الأمـور

قـل إذا شـئت: صـروف وغـير! وإذا شـئت: قضـاء وقـدر(١)

ومن ذلك أيضاً قوله فى قصيدته «حريق ميت غمر»:

اللـه يحكـم فـى المدائـن والقـرى يـا (ميت غمـر) خـذى القضـاء كمـا

فقد استهل شوقى قصيدته بما يؤكد أن الحكم لله وحده فى كونـه، وأن قضاءه لا مرد له. وأن الأمر كلـه للـه، ثم نـراه بعـد ذلـك ينتقـل إلـى وصـف الحريق وصفا غاية فى الإتقان والروعة الفنية، وينقل إلينا صور حيـة، تؤجـج العواطف، وكأنه أمام المتلقى، يدعو الله عز وجل يـرد القضـاء، أو أن يجعـل هذه النار برداً وسلاماً على هذا البلد وأن يلطف بأهله، ولا يملك ذلـك إلا اللـه سبحانه وتعالى فيقول شوقى متضرعاً إلى الله:

فـادفع قضـاءك، أو فصـير نـاره بـرداً وخـذ بـاللطف فيمـا قـدرا

ثم نراه بعد ذلك يدعو أغنياء الأمة إلى البر بأهل هذا البلـد، ويذكرهـم بقضاء الله الذى لحقهم ونزل بهم، وأن الإنسـان مهمـا قـدر لنفسـه الخـير فإنـه لا يستطيع أن يملك مـن أمـره شـيئاً، لأن الأمـر كلـه للـه، وهـذا غايـة التسـليم للقدر؟ ويصور شوقى ذلك فيقول:

مـدوا الأكـف سـخية، واسـتغفر مـا يـا أمـة قـد آن أن تسـتغفرا

أولـى بعطـف الموسـرين وبرهـم مـن كـان مثلهمـو فـأصبح معسـرا

(١) الشوقيات ج ٤ ص ٤٠، ٤١.

يـا أيهـا السـجناء فـى أموالهـم أأمنتمـو الأيـام أن تتغـيرا؟
لا يملـك الإنسـان مـن أحوالـه مـا تملـك الأقـدار، مهمـا قـدرا[٢]

وشوقى دائما راض بقضاء الله، داع إلى الرضا به، مقر يعجز البشر عن رده، وباستعصاء سره عليهم[١] فيقول:

مـا تقـول فـى قـدر بعـض سـنه الأبـد؟
وهـو فـى الحيـاة علـى كـل خطـوة رصـد
يعـثر الأنـام بـه إن سـعوا، وإن قعـدوا
ينـزل الرجـال علـى حكمـه وإن جحـدوا
القضـاء معضلـة لـم يحلهـا أحـد
كلمـا نقضـت لهـا عقـدة بـدت عقـد
أتعبـت معالجهـا واسـتراح معتقـد[٣]

ولا يقر ذلك إلا من رسخت عقيدته وقوى إيمانه، ويصور شوقى هذا الأمر تصويراً رائعا فـى قصيدتـه «الانقلاب العثمانى وسقوط السلطان عبد الحميد» حين يقول على لسان السلطان المعزول:

قـالوا: اعـتزل. قلـت: اعتزلـ ـت والحكـم للـه القديـر[٤]

كان إيمان شوقى بقضاء الله وقدره عميق الأثر فى نفسه، وكان رضاه به واضحاً فى آرائه. لهذا جزع من إقدام بعض الشبان على الانتحار، وصور جزعه فى قصيدته «انتحار الطلبة» هداهم فيها إلى الحق، وأعاد إليهم

---

(٢) المصدر نفسه ج ٤ ص ٤٥ وما بعدها.
(١) الحضارة الإسلامية وضرورتها للحضارة الغربية أحمد شلبى ص ٨٧ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٩٨م.
(٣) الشوقيات ج ٣ ص ٦٠.
(٤) المصدر نفسه ج ١ ص ١١٤.

الثقة والأمل، وبين لهم ما فى الانتحار من معصية لله، وثكل للوالدين، واسخاط للناس» وخسارة للوطن، يصور ذلك شوقى فيقول:

قاتل النفس - ولو كانت له - أسخط الله، ولم يرض البشر

ساحة العيش إلى الله الذى جعل الورد بإذن والصدر[١]

لا تموت النفس إلا باسمه قام بالموت عليها وقهر[٢]

ومن ذلك أيضاً قول شوقى فى رثاء (مصطفى لطفى المنفلوطى) فقد جعل الأقدار كالمحيطات التى لا يقوى أى شراع على مقاومة ومصارعة أمواجها لشدتها وكثرتها؛ فيقول - بعد الحديث عن الدنيا -:

هى والزمان بأرضه وسمائه فى لجة الأقدار نضو شراع[٣]

من شذ ناداه إليه فرده قدر كراع سائق بقطاع[٤]

وشوقى يرى كل ما فى الكون ما هو إلا شراع ضعيف فى بحر الأقدار التى لا يستطيع أحد أن يفرضها، ولا يقوى على مواجهتها مخلوق، ولا يقر ذلك إلا من رسخت عقيدته رسوخ الخيال الرواسى، وقوى إيمانه، ويصور ذلك فى رثائه (فتحى ونورى)[٥] اللذين سقطت بهما الطائرة التى كانا يقودانها:

يهوى القضاء بها، فما من عاصم هيهات ليس من القضاء مقيل[٦]

---

(١) الورد: بلوغ الماء. والصدر: الرجوع عنه.

(٢) الشوقيات ج ١ ص ١٢٠.

(٣) نضو شراع: أى شراع هزيل متمزق لا يكاد يقوى على مصارعة أمواج تلك اللجة، بل لا يكاد يرى فى خضمها المحيط.

(٤) الشوقيات ج ٣ ص ٩٥.

(٥) هما الطياران العثمانيان اللذان قدما إلى مصر فى سنة ١٩١٣ يقودان طيارتهما، فسقطت بهما فماتا.

(٦) الشوقيات ج ٣ ص ١١٦.

وشوقى مؤمن بأن كل شئ عند الله بمقدار وأنه إذا حان أجل الإنسان لا يؤخر عنه، وأن الإنسان لا يدرى متى يحين هذا الأجل، ولا أين مكان موته، ولا كيف يموت، ومن هنا فهو يعمل ويسعى ويجتهد ولا يدرى عن موته شيئاً، ونجد شوقى يصور كل هذه المعانى العقيدية الإيمانية التى تتطلب من الإنسان المؤمن الأذعان والتسليم والقبول بقضاء الله وقدره، فيقول فى رثائه نجل إمام اليمن الأمير سيف الذى توفى غرقا وهو يحاول إنقاذ رفيق له من الغرق:

وخاضك ينقذ أترابه ... وكان القضاء له قد كمن
غدرت فتى ليس فى الغادرين ... وخنت امرأ وافياً لم يخن
وما فى الشجاعة حتف الشجاع ... ولا مد عمر الجبان الجبن
ولكن إذا حان حين الفتى ... قضى ويعيش إذا لم يحن[1]

ويؤكد شوقى على هذا المعنى فى مصرع (بطرس غالى باشا) الذى قتل فى مصر برصاصة من يد إبراهيم الوردانى فى سنة ١٩١٠م فيقول:

ووالله، لو لم يطلق النار مطلق ... عليه، لأودى فجأة، أو تداويا
قضاء، ومقدار، وآجال أنفس ... إذا هى حانت لم تؤخر ثوانيا
نبيد كما بادت قبائل قبلنا ... ويبقى الأنام اثنين: ميتا، وناعيا![2]

والإنسان يجهل تماماً ما يدبره القدر له، مهما كان علمه، لأنه من الأمور الغيبية التى اختص الله بها نفسه ويتجلى هذا المعنى عند شوقى فى قصيدته التى رثى بها المرحوم قاسم بك أمين الذى توفى فى سنة ١٩٠٩، فيقول:

---

(١) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٧٠.
(٢) المصدر نفسه ج ٤ ص ٥٥.

﴿ ٩٤٥ ﴾

يـا مـن تفـرد بالقضـاء وعلمـه إلا قضـاء الواحـد القهـار
مـازلت ترجـوه، وتخشـى سـهمه حتـى رمـى فـأحطت بالأسـرار

والقضاء الحقيقى هو قضاء الله الذى نفذ فى صاحب مرثيتـه، وصـار يعيش حياة الآخرة؛ وشوقى على أمل أن يعرف شيئاً عن أمر الموت وعالم الآخرة، ومن هنا فهو يناشد المرثى قائلاً:

هـلا بعثـت فكنـت أفصـح مخـبرا عما وراء الموت مـن (لازار)؟ (١)
انفض غبـار الموت عنك ونـاجنى فعسـاى أعلـم مـا يكـون غبـارى
هذا القضاء الجد فـارو، وهـات عـن حكـم المنيـة أصـدق الأخبـار (٢)

فشوقى يود فى رثائه لقاسم أمين أن يبعث ليقص عليه خبر الموت وما وراءه.

ومع إيمان شوقى الشديد بالقضاء والقدر، إلا أنه يلقى باللوم على من يقوم مـن الناس بأعمال مخالفة للشرع، ويرتكب أبشع الجرائم، ثم يتعلل بعد ذلك بـالقدر، كى يلتمس لنفسه عذرا فيما اقترف من إثم، وشوقى يرد على هؤلاء، ويتهمهـم بالظلم، لأنهم مخطئون فى زعمهم هذا، ويتجلى هذا بوضوح فى رده على من ينسبون انتحار الطلبة إلى القضاء والقدر فيقول:

قـال نـاس: صرعـة مـن قـدر وقديمـا ظلـم النـاس القـدر (٣)

وشـوقى مؤمـن بـأن اللـه سبحانه قـادر علـى أن يلطـف بعبـاده فـى المقـادير، ويتجلـى هـذا المعنـى فـى قصيدتـه «اعتـداء» التـى قالهـا يهنـئ فيهـا الزعيم سعد زغلول بعد نجاته من محاولة الاغتيال الفاشلة:

---

(١) لازار أو عازار: اسم الرجل الذى أحياه سيدنا عيسى عليه السلام.
(٢) الشوقيات ج ٣ ص ٧٧.
(٣) المصدر نفسه ج ١ ص ١١٨.

وفـــى الأرض شـــر مقـــاديره لطيـــف الســـماء ورحمانهـــا[١]

وقضية الإيمان بالقضاء والقدر من أقوى البراهين الدالة على سلامة العقيدة عند من يؤمن بها ويسلم لها، ولا يمكن أن يتصور ذلك فى - شعر شاعر - إلا من رجل كامل الإيمان راسخ العقيدة. ومن كان هذا هو حاله فإنه يعمل ويسلم أمره إلى الله ويتوكل عليه، ويدعو غيره إلى ذلك، وشوقى يصور ذلك فى قصيدته «العلم والتعليم وواجب المعلم» ويختتمها بقوله:

فكلـوا إلـى اللـه النجـاح وثـابروا فاللـه خـير كـافلاً ووكيـلا[٢]

القدرة والإرادة:

مما لا شك فيه أن من سلمت عقيدته؛ فهو مؤمن إيمانا تاما بقدرة الله وإرادته، وأنه عز وجل - على كل شئ قدير، وشوقى له شعر كثير فى هذا الغرض، يتجلى من خلاله ان شوقى مؤمن إيمانا لا مجال للشك فيه بقدرة الله وإرادته، ففى «الهمزية النبوية» الرائعة التى تعد من أروع ما قيل فى المديح النبوى والتى استهلها شوقى بقوله:

ولـد الهـدى فالكائنـات ضيـاء وفـم الرمـان تبسـم وثنـاء[٣]

ففى هذه القصيدة أبيات تدل دلالة قاطعة على قدرة الله، وهى تلك الأبيات التى تدور حول معجزة «الإسراء والمعراج» فقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يؤيد كل رسول بمعجزة أو معجزات تصدق دعواه، وتثبت لقومه أنه مبعوث من الله، ليؤمن به من يؤمن عن هدى وبنية واقتناع، وكانت معجزة

---

(١) المقادير: جمع مقدور، وهو الأمر المحتوم. والضمير للطيف السماء وهو الله تعالى. الشوقيات ج ١ ص ٢٥٠.

(٢) الشوقيات ج ١ ص ١٧٢.

(٣) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٠.

﴿ ٩٤٧ ﴾

«الإسراء والمعراج» تلك المعجزة التى تفضل بها الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم؛ فى رحلة أرضية سماوية فى وقت لا يعرف الناس شيئاً عن السموات العلى، ففتن الناس بها، وقاسوها بقدرة البشر، وغاب عن الكثير منهم قدرة الله وإرادته التى لا قبل لهم بها، يقول شوقى:

يأيها المسرى به شرفاً إلى ... ما لا تنال الشمس والجوزاء[١]
يتساءلون - وأنت أطهر هيكل ... بالروح أم بالهيكل الإسراء؟[٢]
بهما سموت مطهرين كلاهما ... نور وريحانية وبهاء
فضل عليك لذى الجلال ومنة ... والله يفعل ما يرى ويشاء[٣]

فشوقى يبنى رأيه على أن هذا أمر خاضع لقدرة الله المدبر لأمر هذا الكون؛ الذى أمره بين الكاف والنون «إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون»[٤].

وتتجلى قدرة الله فى بديع صنعه، وجمال الطبيعة وسحرها البديع يبعثان فى النفس قوة الإيمان بالخالق سبحانه، ولا يتحقق ذلك إلا لمن سلمت عقيدته وقوى إيمانه، وكان له حس مرهف وشعور رقيق، وشوقى مرهف الحس، ويتفاعل مع الطبيعة كلما شاهد جمالها؛ أنطقه وأوحى إليه بالصور الجميلة؛ فهو حين ودع مدينة «فروق» - الآستانة - وآلمه فراق هذه المدينة الرائعة الجميلة صور بعض ما فيها من آيات الجمال التى تدل على جلال وقدرة المبدع سبحانه، فقال:

---

(١) الجوزاء: برج فى السماء.
(٢) الهيكل: الجسم والصورة والشخص الاسراء: السير ليلا.
(٣) الشوقيات ج ١ ص ٣٥.
(٤) سورة يس الأية ٨٢.

هـــواؤك والعيـــون مفجـــرات كفـى بهمـا مـن الدنيـا متاعـا[١]
وشمســك كلمـا طلعـت بـأفق تخطـرت الحيـاة بـه شـعاعا

وغيـدك، هـن فـوق الأرض حـور أوانـس، لا نقـاب ولا قناعـا
حوالـى لجـة مـن لازورد تعـالى اللـه خلقـا وابتداعـا[٢]

وشوقى يخضع كل شئ فى الكون لقدرة الله وارادته، فالله خالق مالك متصرف، والمخلوق خاضع لأمر الله وأرادته، حتى ما يقع لغير المؤمنين، فيقول فى مصرع اللورد «كتشنر» الذى مات غريقا:

راكـب البحـر، أمـوج مـا تـرى؟ أم كتـاب الدهـر، أم صحـف القـدر؟
لجـة (كـاللوح) لا يحصـى علـى قلـم القـدرة فيهـا مـا سـطر[٣]

ويرسم شوقى صورة لبيروت بعد نكبتها، فقد ضربها الاسطول الإيطالى ودمر شواطئها، رادا الأمر كله لمشيئة الله سبحانه، فيقول:

يـا رب، أمـرك فـى الممـالك نـافذ والحكـم حكمـك فـى الـدم المسـفوك
إن شـئت أهرقـه، وإن شـئت احمـه هـو لـم يكـن لسـواك بـالمملوك
واحكـم بعدلـك، إن عدلـك لـم يكـن بـالممترى فيـه، ولا المشـكوك
ألأجـل آجـال دنـت وتهيـأت قـدرت ضـرب الشـاطئ المـتروك[٤]

وهذه الأبيات تكشف عن عقيدة شوقى الإيمانية القوية فهو يرد أمر الممالك لله سبحانه، فلا يسفك دم، ولا يحفظ إلا بمشيئة الله، لأنه المالك الحقيقى لهذه النفوس التى يقدر لها المقادير.

---

(١) العيون: هى عيون الماء.
(٢) الشوقيات ج ١ ص ١٤٥.
(٣) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٦١.
(٤) الشوقيات ج ١ ص ١٥٢.

ونجد شوقى يستعمل لفظ «يد الله» فى الدلالة على قدرته فى كثير من الأبيات فيقول على سبيل المثال فى قصيدة «مشروع ٢٨ فبراير» مصوراً اجهاد الأمة أمام ظلم المستعمر:

لولا يد الله لم تدفع مناكبها ولم نعالج على مصراعها الأربا[١]

وعندما زار شوقى قسم الأزهار والثمار فى معرض باريس سنة ١٩٠١م أعجبه ما رآه غاية الإعجاب، فنسب كل ما شاهده من جمال لقدرة الله الخالق المبدع المصور، وأنكر على المخالفين ما قالوه، فنراه يختم قصيدته بقوله:

يجد المتقى يد الله فيه ويقول الجحود: قد خلقوه[٢]

وشوقى يذكر فى قصيدته رسالة الناشئة بقدرة الله فى خلق الإنسان الذى مر بأطوار متعددة – وهو آية ومعجزة أعجزت علماء الطب منذ القدم – حتى نفخ الله فيه من روحه، فدبت فيه الحياة والحس والحركة فيقول:

اذكر الآية إذ أنت جنين لك فى الظلمة للنور حنين
كل يوم لك شأن فى الظلم حار فيه كل «بقراط» علم
كان فى جنبك شئ من علق حين مسته يد الله خفق
صار حسنا وحياة بعد ما كان فى الأضلاع لحماً ودما
دق كالناقوس وسط الهيكل فى انتفاض كانتفاض البلبل[٣]

---

(١) يد الله: قدرة الله. والمناكب: جمع منكب. وهو مجتمع رأس العضد والكتف. وعالج الأمر: باشره بمشقة. والمصراع من الباب: الشطر. والأرب: الحاجة. ولقد أراد شوقى أن يصور جهاد الأمة وقد دجاليل الحوادث واستأسد العادى، والأمة تصابره، وتدافع الخطوب، وتلقى عنها نيرها، وتريد الإفلات من عنتها إلى حيث أبواب النصر انظر الشوقيات ج ١ ص ٧٢.

(٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ٨١.

(٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ٣٨.

قل لمن طبب، أو من نجما: صنعه الله، ولكن زغتما[١]

ونجد شوقى مؤمن بأن قدرة الله فوق ما سواها من قدرات البشر، وأنه لا قدرة لمخلوق على منازعة الله فى ملكه، فلا يشاركه فيه سواه، وشوقى يصور هذا المعنى فى وداع اللورد كرومر فيقول:

أحسبت أن الله دونك قدرة؟ لا يملك التغيير والتبديلا؟
الله يحكم فى الملوك، ولم تكن دول تنازعه القوى لتدولا[٢]

وتتجلى قدرة الله ومشيئته فى أمور كثيرة منها أنه ينصر من يشاء لأنه قوى عزيز لا يغلب، وشوقى يعبر عن هذا المعنى فى قصيدته «تحية للترك» فيقول:

سألنا الله نصراً، فانتصرنا بكم، والله خير الناصرينا[٣]

الله مالك الملك:

إن العقيدة الصحيحة الراسخة التى تجعل صاحبها يؤمن بأن الله قادر تجعله يؤمن إيمانا لا ريب فيه أن الملك لله وحده لا يشاركه فيه سواه، وشعر شوقى مرآة صادقة لعقيدته الصحيحة، فهو حريص فى كثير من أشعاره على إبراز هذا الجانب العقدى. وهو أن الله سبحانه مالك الملك، يدبره كيف يشاء، ويصور شوقى ذلك فى قصيدته البردة فيقول:

يا رب، هبت شعوب من منيتها واستيقظت أمم من رقدة العدم

---

(١) الشوقيات ج ٤ ص ٣٨.
(٢) لتدول: لتظهر على غيرها ويحالفها إقبال حظ أنظر الشوقيات ج ١ ص ١٦٣.
(٣) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٧٥.

سعد، ونحس، وملك أنت مالكه تديل من نعم فيه، ومن نقم[١]

ومن كان يؤمن بأن الملك لله وحده فهو يترك الأمر له فى كل شئون الدنيا وشوقى يعبر عن ذلك بقوله:

أنا من يترك للديان فى الدنيا شئونه[٢]

ولأن الله مالك الملك فهو - سبحانه - الذى يتولى عباده برحمته، ويلهمهم الصبر على الشدائد بعظمته وقدرته، ويتلطف بالفقراء، ويدخل السكينة والطمئنية على قلوب البائسين وشوقى يصور ذلك فى قصيدته «حريق ميت غمر» فيقول:

يا رب قد خمدت، وليس سواك من يطفى القلوب المشعلات تحسرا
فتحوا اكتئاباً للإعانة فاكتتب بالصبر، فهو بما لهم لا يشترى
إن لم تكن للبائسين فمن لهم؟ أو لم تكن للاجئين فمن ترى؟!
فتولَّ جمعا فى اليباب مشتتا وارحم رميما فى التراب مبعثرا[٣]

وشوقى يترك «باريس» بما فيها من روعة وجمال متوجها إلى «رومة» التى درست، وصارت أثرا، وتحولت إلى أنقاض حركت مشاعره، وجعلت شوقى يطلب شهادة من يراها بأن الملك لله الواحد فيقول فى مطلع قصيدته «رومة»:

قف بروما، وشاهد الأمر، واشهد أن للملك مالكا سبحانه[٤]

وخطب «غليوم» عاهل ألمانيا خطبة فى سنة ١٩٠٦م طغى وبغى وتكبر فيها،

---

(١) المصدر نفسه ج ١ ص ١٩٥.
(٢) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٠٣.
(٣) الشوقيات ج ٤ ص ٤٦.
(٤) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٣٩.

فكان لها أثر أليم على نفس شوقى، فلجأ إلى الله يشكو ضعف المسلمين، ويسأله أن يشملهم بعطفه ورعايته فقال مستنكراً ما ادعاه هذا الطاغية فيقول فى مطلع قصيدته:

يا رب ما حكمك؟ ماذا ترى فى ذلك الحلم العريض الطويل؟
قد قام غليوم خطيبا، فما أعطاك من ملكك إلا القليل؟
شيد فى جنبك ملكا له ملكك إن قيس إليه الضئيل

قد ورث العالم حيا، فما غادر من فج ولا من سبيل
فالنصف للجرمان فى زعمه والنصف للرومان فيما يقول[1]

فهذا العاهل الألمانى قد قسم الكرة الأرضية - فى زعمه - إلى نصفين، نصف للجرمان والنصف الثانى للرومان، وكم تساوى الكرة الأرضية فى ملك الله؟ لا تتجاوز نصف حلقة صغيرة فى صحراء شاسعة مترامية، ولكنها عالمنا الأرضى الذى نعيش فيه، وهذا جعل شوقى يختتم قصيدته بهذا البيت الذى يكشف عن عقيدته الراسخة القوية التى لا تزعزعها المصائب وإيمانه الصادق بأن الملك لله الواحد فيقول:

جنى علينا عصبة جازفوا فحسبنا الله، ونعم الوكيل! [2]

ولقد كان من رسوخ العقيدة عند شوقى أن جعل الحيوانات هى الأخرى تقر بملكية الكون لله، وذلك فى شعره القصصى الرمزى الذى قاله على ألسنة الحيوانات، فهو يقول على لسان الليث فى قصيدته: الليث والذئب فى السفينة:

إن عدت للأرض بإذن الله وعاد لى فيها قديم الجاه

(١) المصدر نفسه ج ٤ ص ٤٨.
(٢) المصدر نفسه ج ٤ ص ٤٨.

أعطيـــك عجليـــن وألـــف شـــاه ثـــم تكـــون والـــى الـــولاة[١]

الموت والبعث:

الموت حقيقة لا مهرب من وقوعها، والحياة حقيقة لا شك فى انقطاعها، فمـاذا صنع شوقى؟ هل عكف على الحياة الناعمة فتزود منها بمـا ينـال متغـافلاً عـن الموت؟ أو سخط الحياة وأزور عن متعها، وتنسك استعدادا للموت.

لا، فقد أعطى نفسه من الحياة حقها الذى لم يصرفه عن توقع الموت، وأذعـن للموت إذعانا لم يشـغله عـن حـق الحيـاة، فمـا ذم الحيـاة ومـا حمدهـا، ومـا ذم الموت وما حمده.

لم يذم المـوت لأنـه حتـم لا مفـر منـه، ولـم ينصـح بتجاهلـه والانصـراف إلـى الحياة، لأنها سفرة محدودة لابد لها من نهاية.

وشوقى يرى أن الموت لغز لما يوفق أحد إلى حله، وهو النزل الذى يجـد فيـه الحى راحته من أوصاب الحياة، وتجد فيه الروح شفاءها من آلام حبسـها فـى الجسد، وهنـاك لا عـداء ولا حقـد ولا لهـو ويصـور شـوقى هـذا المعنـى فـى قصيدته فى ذكرى اللورد كانارفون فيقول:

فـى المـوت مـا أعيـا وفـى أسـبابه كـل امـرئ رهـن بطـى كتابـه[٢]
أسـد لعمـرك، مـن يمـوت بظفـره عنـد اللقـاء؛ كمـن يمـوت بنابـه
إن نـام عنـك؛ فكـل طـب نـافع أو لـم ينـم؛ فـالطب مـن أذنابـه

(١) الشوقيات ج ٤ص ١٦٤.
(٢) ما أعيا: أى ما أتعب وأعجز عن إدراك حقيقته. ورهن بطى كتابه: أى باق فى الحياة كبقاء الرهن حتى ينتهى أجله.

داء النفـــوس، وكـــل داء قبلـــه هـــم نســـين مجيئـــه بذهابـــه[١]
النفـس حـرب المـوت، إلا أنهـا أتـت الحيـاة وشـغلها مـن بابـه[٢]
تسـع الحيـاة علـى طويـل بلائهـا وتضيـق عنـه علـى قصـير عذابـه[٣]
هـو مـنزل السـارى وراحـة رائـح كـثر النهـار عليـه فـى إنعابـه[٤]
وشـفاء هـذى الـروح مـن آلامهـا ودواء هـذا الجسـم مـن أوصابـه[٥]

ثم خاطب اللورد قبل أن يختم قصيدته بقوله:

يـا صـاحب الأخـرى، بلغـت محلـة هى مـن أخـى الدنيـا منـاخ ركابـه[٦]
نـزل أفـاق بجانبيـه مـن الهـوى مـن لا يفيـق، وجـد مـن تلعابـه[٧]
نـام العـدو لديـه عـن أحقـاده وسـلا الصديـق بـه هـوى أحبابـه[٨]
الراحـة الكـبرى مـلاك أديمـه والسـلوة الطولـى قـوام ترابـه[٩]

وأنه ليسترعى النظر فى مراثى شوقى أنه كثير السؤال للموتى عن حقيقة الموت، وعما يحس به المحتضر وعما بعد الموت مما لا يدركه حى

---

(١) الداء: العلة والمرض. ونسين: أى النفوس.
(٢) حرب الموت: المراد أنها تكرهه وتدافعه. أتت: جاءت والضمير فى (شغلها) للحياة، والضمير فى بابه (للموت) انظر أحمد شوقى زكى مبارك إعداد وتقديم كريمة مبارك ص ٢٧٠، ٢٧١.
(٣) بلاء الحياة: ما فيها من ألم وهم أى أن النفس تسع للحياة وتحتملها مع ما فيها من هموم وآلام لا تنتهى، وتضيق عن الموت وتأباه وهو ليس فيه إلى شئ من الألم قصير.
(٤) هو: أى الموت والسارى: الذى يقطع الليل سيرا. والرائح: الذاهب.
(٥) الأوصاب: الأوجاع، جمع وصب.
(٦) المحله: المنزل. المناخ: مبرك الأمل. ومحل الإقامة مجازا. الركاب: الإبل والأخرى الآخرة والخطاب للورد المرثى؛ يقول بلغت منزلاً هو نهاية المسير لأهل الدنيا وهو القبر.
(٧) أفاق: صحا واستيقظ التلعاب: اللعب.
(٨) الأحقاد: جمع حقد وهو الغضب الثابت.
(٩) الشوقيات ج ١ ص ٧٨، ٨٢.

من البشر.

ففى رثائه لجدته – لأبيه – يصور الحياة صراعا بينه وبين الزمن، لكنه صراع موقوت عاقبته أن ينتصر الزمن، ويعلل نفسه بأن حذره لا يجديه، إلا أنه يخشى أنه يبغته الموت، وهو لا يريده بغته، لأنه يمسك فرجاره ويخط به دوائر لا يفلت منها محصور، فكيف يأمل هو أن يفلت؟ كل حى لابد أن يدركه الموت ولو كان فى برج مشيد، ولو أن الجهات كانت سبعا لا ستا لكان الموت هو الجهة السابعة فيقول:

كأنى والزمان على قتال ... مساجلة بميدان الحياة
أخاف إذا تثاقلت الليالى ... وأشفق من خفوق النائبات
وليس بنافعى حذرى ولكن ... إباء أن أراها باغتات
أمأمون من الفلك العوادى ... و(برجله) يخط الدائرات؟
تأمل: هل ترى إلا شباكا ... من الأيام حولك ملقيات؟
ولو أن الجهات خلقن سبعاً ... لكان الموت سابعة الجهات[1]

ويؤكد شوقى على هذا المعنى ويسأل والده فى رثائه له عن ساعة الموت، وكيف شرب من كأسه المرة، أجرعة واحدة أم جرعتين؟ يريد أن يعلم منه كيف نزل به الموت؟ وكيف صعدت الروح؟ وماذا عانى وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة؟ فيقول:

يا أبى والموت كأس مرة ... لا تذوق النفس منها مرتين
كيف كانت ساعة قضيتها ... كل شئ قبلها أو بعد هين؟
أشربت الموت فيها جرعة ... أم شربت الموت فيها جرعتين؟[2]

(١) المصدر نفسه ج ٣ ص ٣٩، ٤٠.
(٢) الشوقيات ج ٣ ص ١٥٥.

وشوقى يسأل رياضا باشا عن الموت، لتتكشف له العظات، ويعترف بأن الموت هو الحقيقة وما عداه أوهام وأباطيل، ويستخبره عن كنه الموت ومذاقه، وعن الموت البطئ المسبوق بمرض ونذير والموت المفاجئ، وأيهما أشد وأقسى فيقول:

رهين الرمس حدثني مليا ... حديث الموت تبدي لي العظات[١]
هو الخبر اليقين، وما سواه ... أحاديث المنى والترهات[٢]
سألتك: ما المنية؟ أنى كأس؟ ... وكيف مذاقها؟ ومن السقاة؟
وماذا يوجس الإنسان فيها ... إذا غصت بعلقمها اللهاة؟ [٣]
وأى المصرعين أشد: موت ... على علم، أم الموت الفوات؟ [٤]

البعث:

أمور الآخرة من السمعيات التى يعتقدها المؤمن، ويؤمن لها، لأن الله أخبر بها عباده، وشوقى مؤمن ولم أعثر فى شعره على شبهة فى البعث أو أثارة من ريب أو لبس، فهو مؤمن مكتمل الإيمان، يدين بأن الموت حق، وبأن البعث حق. وردد شوقى فى كثير من قصائده يقينه بالبعث، وبنعيم الآخرة، فى غير ما جدل للملاحدة، ولا تدليل على عقيدته، لأن البعث عقيدة دينية ليست فى حاجة إلى جدل أو تدليل، ففى رثائه لرياض باشا يقول:

وهل تقع النفوس على أمان ... كما وقعت على (الحرم) القطاة؟ [٥]

---

(١) الرمس: القبر.
(٢) الترهات: جمع ترهة، بتشديد الراء مفتوحة، وهى الباطل.
(٣) اللهاة – بفتح اللام – اللحمة المشرقة على الحلق من أقصى الفم.
(٤) الموت الفوات الموت المفاجئ.
(٥) القطاة: الحمام أو طير يشبه الحمام؟ ويقصد بالحرم: الحرم المكى حيث يحرم صيد الطيور اللاذة به الشوقيات ج ٣ ص ٤٥.

وتخلـد أم كزعـم القـول تبلـى كمـا تبلـى العظـام أو الرفـات؟
تعـالى اللـه قابضهـا إليـه وناعشـها كمـا انتعـش النبـات
وجازيهـا النعيـم حمـى أمينـا وعيشـا لا تكـدره أذاة[١]

وشوقى مؤمن بأن الله يتولى بقدرته الموت والحياة، ويبعث الموتى من القبور يوم البعث والنشور، وهو يصور ذلك المعنى فى رثاء «تولستوى» الفيلسوف الروسى الشهير، فيقول:

طوانا الذى يطوى السموات فى غد وينشر بعد الطى وهو قدير[٢]

وشوقى يؤكد هذا المعنى فى ليلة ولادة ابنته أمينة، التى صادفت ولادتها وفاة أبيه فى ساعة واحدة فيقول:

حتى بدا الصبح، فولى أبى وأقبلت بعد العناء ابنتى
فقلت: أحكامك حرنا لها يا مخرج الحى من الميت[٣]

وإيمان شوقى بالبعث كإيمانه بالموت فكلاهما حق، ولأن الروح والبعث عقيدة دينية، فهى ليست بحاجة إلى جدل أو تدليل، ويتجلى إيمان شوقى بالله وبأن النفوس مردها إلى الله سبحانه وتعالى فيقول:

سنة الله فى العباد وأمره ناطق عن بقائه لن يردا
وإلى الله ترجع النفس يوما صدق الله والنبيون وعدا[٤]

ولقد ردد شوقى فى معظم قصائده الرثائية يقينه بالبعث وبنعيم الآخرة، يقول وهو يرثى زعيم مصر (سعد زغلول) المتوفى سنة ١٩٢٧م:

---

(١) الشوقيات ج ٣ ص ٤٦.
(٢) المصدر نفسه ج ٣ ص ٨١.
(٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ٩٧.
(٤) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٣٠.

﴿ ٩٥٨ ﴾

فـــى نعيـــم اللـــه نفـــس أوتيـــت أنعـــم الدنيـــا فلـــم تتـــس تقاهـــا[١]

وفى مناجاة شوقى لابن زيدون يستخبره عن الخلد، ويطالبه بأن يصف ما رأى من جمال وجلال ونعيم فيقول:

جلـــت فـــى الخلـــد جولـــة هـــل عـــن الخلـــد مـــن نبـــا؟
صـــف لنـــا مـــا وراءه مـــن عيـــون، ومـــن ربـــى
ونعيـــــم وتضـــــره وظـــــلال مـــــن الصبـــــا
وصـــف الحـــور موجـــزا وإذا شـــئت مطنبـــا[٢]

وشوقى يؤكد هذا المعنى فى رثائه لمحمد عبد المطلب فيقول:

قـم صـف الخلـد لنـا فـى ملكـه من جـلال الخلـق والصنـع العجـب
وثمـار فـى يواقيـت الربـى وسـلاف فـى أبـاريق الذهـب[٣]
وانـثر الشـعر علـى الأبـرار فـى قـدس السـاح وعلـوى الرحـب
واستعر (رضـوان) عـودى قصـب وترنـم بـالقوافى فـى القصـب[٤]
واسـق بـالمعنى إلهيـا، كمـا تتسـاقون الرحيـق المنسـكب[٥]

على أن شوقى فى تسآله عن الموت، وعن البعث، وعن الحياة الآخرة قصر حديثه عن الجنة والنعيم، ولم يستخبر أحدا عن النار، ولم يشر إلى الجحيم، ولا تعليل لذلك إلا بأنه عظيم الأمل فى عفو الله وفى رحمته بعباده، ولأنه يستخبر بعض من رثاهم وأحبهم أحياء، وتمنى لهم الخير أمواتا، فليس من التوفيق أن يستنبئهم عن النار التى يصطلى بها العصاة والضالون. وإذا كان

(١) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٧٩.
(٢) المصدر نفسه ج ٤ ص ٧٩.
(٣) يواقيت الربى: الاكمام المتفتحة بالورد والثمار التى تشبه الياقوت والسلاف: الخمر.
(٤) رضوان: هو الملك القائم على الجنة. والقصب: المزمار أو الناى الذى يترنم.
(٥) الشوقيات ج ٣ ص ٣٧.

البعث حقيقة وكان الجزاء وفاقا لما قدم كل إنسان فى حياته، أوصى شوقى بالعمل الصالح الذى يخلف أحدوثة عبقة فى الحياة، وينزل صاحبه منزلة رفيفة فى الدار الآخرة، وهو يريد بالعمل الصالح طاعة الله وسمو الأخلاق ونفع الناس.

ومن ذلك قوله:

وجدت الحياة طريق الزمر ... إلى بعثة وشئون أخر
وما باطلا ينزل النازلون ... ولا عبثا يزمعون السفر
فلا تحتقر عالما أنت فيه ... ولا تجحد الآخر المنتظر
وخذ لك زادين: من سيرة ... ومن عمل صالح يدخر
وكن فى الطريق عفيف الخطا ... شريف السماع كريم النظر
ولا تخل من عمل فوقه ... تعشى غير عبد ولا محتقر
وكن رجلا إن أتوا بعده ... يقولون: مر وهذا الأثر[1]

الله المتفرد بالبقاء:

إن وحدانية الله تعالى، تستوجب له – سبحانه – البقاء، وهو القائل فى كتابه الحكيم: «كل شئ هالك إلا وجهه»[2] فهو الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء.

والله هو الباقى بعد فناء كل المخلوقات وشوقى يستحضر هذه الصفة الواجبة لله تعالى فى كثير من مراثيه، وهذا يؤكد رسوخ عقيدة التوحيد فى نفسه ووجدانه، فيقول فى رثاء عبد الحليم العلايلى بك[3]:

---

(١) المصدر نفسه ج ٤ ص ٩١.
(٢) سورة القصص الآية ٨٨.
(٣) عبد الحليم العلايلى: كان عالية دمياط توفى سنة ١٩٣٢م بعد أن ترك له فى القضية =

بنـــى دميـــاط، مـــا شـــئ ببـــاق سـوى الفـرد الـذى احتكـر البقـاء
تعـــالى اللـــه، لا يبقـــى ســـواه إذا وردت برتيـــــه الفنـــــاء
وأنتـــم أهـــل إيمـــان وتقـــوى فهـل تلقـون بـالعبب القضـاء؟ (١)

فمن كان مؤمنا تقيا، فإنه يقر مـا قالـه شـوقى ويرضـى بقضـاء اللـه فـى خلقـه فيقول فى رثاء محمد فريد بك(٢):

كـل حـى علـى المنيـة غـادى تتوالـى الركـاب والمـوت حـادى(٣)
ذهـب الأولـون قرنـا فقرنـا لـم يـدم حـاضر، ولـم يبـق بـادى(٤)

ومن الواضح أن «شوقى» كان غير موفق فى التعبير بقوله: «كل حـى» لأنـه عم باستخدام لفظ «كل» ولم يستثن أحداً من الموت، والله سبحانه وتعالى حـى قيوم، ونجد أن القرآن الكريم لم يستخدم هذا التعبير فى كل مـا عـبر بـه عـن فناء المخلوقات، فقال عز شـأنه «كـل نفـس ذائقـة المـوت»(٥) وقـال «كـل مـن عليها فان»(٦) – أى من على الأرض – وقال: «كل شئ هالك إلا وجهـه»(٧). ولم يرد فى القرآن الكريم تعبير واحد على هذه الشاكلة؛ فأرى أن التوفيـق قـد جـانب شـوقى فـى هـذا البيـت وإن كـان قصـده – بـلا شـك – كـل حـى مـن

= المصرية مواقف مذكورة، اشتهر منذ نشأ بعلو الهمة ونفوذ الكلمة، وكان صديق أمير الشعراء أحمد شوقى.

(١) الشوقيات ج ٣ ص ٢١.
(٢) محمد بك فريد: الرئيس الثانى للحزب الوطنى وهو الضحية الغالبة للوطنية العربية فقد ورث عن والده ثروة طائلة جداً، بذلها كلها فى سبيل الوطن وتوفى سنة ١٩٢٠م محكوماً عليه بالنفى والتشريد.
(٣) الحادى: هو الذى يغنى للقافلة فتنشط فى مسيرها.
(٤) الحاضر: ساكن الحضر، والبادى: ساكن البادية. الشوقيات ج ٣ ص ٥٥.
(٥) سورة آل عمران الآية ١٨٥.
(٦) سورة الرحمن الآية ٢٦.
(٧) سورة القصص الآية ٨٨.

المخلوقات، وعلى هذا القصد فلا يدخل الحى القيوم ضمن أحياء هذا البيت، والذى يشفع لشوقى فى هذا البيت ويؤكد صحة سلامة عقيدته قوله فى القصيدة ذاتها:

الأناة الأناة؛ كل أليف سابق الإلف، أو ملاقى انفراد[١]

ثم نراه يزيد الأمر تخصصيا فيقول فى القصيدة نفسها:

وعلى نائم وسهران فيها أجل لا ينام بالمرصاد[٢]

ومن الملاحظ أن شوقى يؤكد سلامة عقيدته فى قصيدته «رسالة الناشئة» فيستعمل فيها لفظ كل فى صدر البيت، مضافاً إلى لفظ «حى» ولكنه فى هذه القصيدة يلجأ إلى أسلوب الاستثناء حتى لا يقع فيما وقع فيه فى البيت السابق فيقول:

كل حى ما خلا الله يموت فاترك الكبر له والجبروت[٣]

ونجد شوقى فى ملحمته (كبار الحوادث فى وادى النيل) يقر مبدأ البقاء لله وحده وبأن كل شئ زائل فيقول:

سنة الله فى الممالك من قبـ ـل ومن بعد، ما لنعمى بقاء[٤]

وشوقى مؤمن إيمانا كاملاً بتفرد الله بالبقاء، دون سائر خلقه، فيقول فى قصيدته «البنون والحياة الدنيا» التى نظمها فى تعزية الكاتب الكبير الدكتور محمد حسين هيكل «بك» فى فقد وحيده سنه ١٩٣٥م:

---

(١) الشوقيات ج ٣ ص ٥٦.
(٢) المصدر نفسه ج ٣ ص ٥٦.
(٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ٤١.
(٤) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٦.

﴿ ٩٦٢ ﴾

عـــــــالم مدبـــــــــره بالبقـــــــاء منفـــــــرد[١]

وشوقى حين مات أبوه، ولم يرثه، فقد أثار ذلك انتباه المقربين إليه، فسألوه لِمَ لم يرث أباه؟ فقال فى رثائه قصيدة أكد فيها على أن الفناء ضرورة لا تقبل الجدل، فقال:

يـا أبـى، مـا أنـت فـى ذا أول كـل نفـس للمنايـا فـرض عيـن
هلكـت قبلـك نـاس وقـرى ونعـى النـاعون خـير الثقليـن[٢]
غايـة المـرء وإن طـال المـدى أخـذ يـأخذه بـالأصغرين[٣]

وقال فيها أيضاً:

يـا أبـى والمـوت كـأس مـرة لا تـذوّق النفـس منهـا مرتيـن[٤]

وشوقى مؤمن قوى الإيمان مطمئن القلب بأن كل نفس ذائقة الموت، وأن الموت هو نهاية كل حى، ويصور شوقى ذلك فى قصيدته «شهداء العلم والغربة»[٥] فيقول:

بلى، كل ذى نفس أخو الموت وابنه وإن جر أذيال الحداثة والخال
وليس عجيبا أن يموت أخو الصبا ولكن عجيب عيشه عيشة السالى
وكل شباب أو مشيب رهينة بمعترض من حادث الدهر مغتال[٦]

(١) المصدر نفسه ج ٣ ص ٦١.
(٢) الثقلان: الإنس والجن. وخير الثقلين، هو سيدنا محمد صلوات الله عليه.
(٣) الشوقيات ج ٣ ص ١٥٤.
(٤) الشوقيات ج ٣ ص ١٥٥.
(٥) شهداء العلم والغربة: هم طائفة من شباب مصر سافروا لتلقى العلم فى جامعات أوربا، فاصطدم القطار الذى يقلهم من أرض إيطاليا فقتل أحد عشر طالبا وجئ بهم إلى مصر فنعاهم شوقى بهذه القصيدة.
(٦) الشوقيات ج ٣ ص ١٣٠.

وشوقى كما قلنا مؤمن بأن البقاء لله وحده وأن الموت غاية الإنسان، ويصور ذلك فى رثائه للزعيم مصطفى كامل فيقول:

هون عليك؛ فلا شمات بميت إن المنية غاية الإنسان[١]

وما أكده شوقى بالنسبة للكائنات الحية فى قضية الفناء والزوال أكده أيضا بالنسبة للممالك والآثار وذكر أن كل ذلك زائل وفان لا محالة ولا بقاء إلا لله الواحد القهار فقال فى قصيدته «الأندلس الجديدة» مخاطبا مدينة «أدرنة»[٢] التى سقطت فى أيدى البلغار سنة ١٩١٢م:

صبرا أدرنة! كل ملك زائل يوما. ويبقى المالك العلام[٣]

الإيمان بصفات الله وأسمائه:

إن العقيدة السليمة الراسخة توجب على صاحبها أن يكون مؤمنا بالله؛ وبكل صفات الجلال والكمال له سبحانه، وشوقى يصرح - فى شعره - بأنه مؤمن بالله؛ فيقول فى قصيدته «دمشق»:

آمنت بالله، واستثنيت جنته دمشق روح، وجنات، وريحان[٤]

وشوقى سعيد بإيمانه، ويرفض أى ضلالة تلحق بالهداية، لأنها تعمى الناس عن نور الهدى ويصور ذلك فى قصيدته «أيها النيل» فيقول:

ما أجمل الإيمان!! لو لا ضلة فى كل دين بالهداية تلصق[٥]

---

(١) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٦٠.
(٢) أدرنة: من أكبر المدن العثمانية فى مقدونية، بها كثير من الآثار التركية.
(٣) الشوقيات ج ١ ص ٢٢٦.
(٤) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٠١.
(٥) الشوقيات ج ٢ ص ٦٩.

﴿ ٩٦٤ ﴾

وكما صرح شوقى فى شعره بإيمانه بالله؛ فقد صرح أيضا فى شعره بأن الله هو الرحمن الرحيم، العفو، الرءوف، الرازق، العليم، فقال فى رحمته ورفقه سبحانه، فى قصيدته «أيها النيل»:

ترجى لهم، والله جل جلاله منا ومنك بهم أبر وأرفق[١]

وقد جمع شوقى فى قصيدته التى رثى بها إسماعيل أباظة باشا بين رحمة الله وعفوه فقال:

إلى الله (إسماعيل) وانزل بساحة أظل الندى أقطارها والنواحيا
ترى الرحمة الكبرى وراء سمائها تلف التقى فى سيبها والمعاصيا
لدى ملك لا يمنع الظل لائذا ولا الصفح توابا، ولا العفو راجيا[٢]

وشوقى راسخ العقيدة قوى الإيمان مؤمن بأن الراحمين سوف يرحمهم الرحمان، ومن هنا فهو يدعو الناشئة أن يتمسكوا بمبادئ الرحمة فى التعامل مع الضعفاء واليتامى فيقول فى قصيدته «رسالة الناشئة»:

من يمت عن منة عند يتيم فرحيم سوف يجزى من رحيم[٣]

كما نجده فى القصيدة نفسها يدعو بالرحمة لمن تلطف بالطفل ورحمه فيقول:

أحبب الطفل وإن لم يك لك إنما الطفل على الأرض ملك
هو لطف الله لو تعلمه رحم الله امرءا يرحمه[٤]

(١) المصدر نفسه ج ٢ ص ٧٤.
(٢) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٨٢.
(٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ٤١.
(٤) المصدر نفسه ج ٤ ص ٤١.

وشوقى يدعو الله – سبحانه وتعالى – أن يتولى بؤساء حريق «ميت غمر» برحمته فيقول:

إن لم تكن للبائسين ممن لهم؟ أو لم تكن للاجئين فمن ترى؟!
فقولاً جمعا فى اليباب مشتتا وارحم رميما فى التراب مبعثرا[١]

وكما آمن شوقى بأن الله وحده هو الذى يتولى البائسين برحمته، وأنه ملاذ اللاجئين إليه دون سواه، فهو أيضاً مؤمن بأن الله يغفر الذنوب، فهو العفو الغفور، فالرحمة والغفران هما من أبرز الصفات الآلهية التى تنطق بها معظم أشعار شوقى، وهى تفيض بشتى المشاهد والمواقف المعبرة عن غفران الله لكثيرين من عباده مهما كانت ذنوبهم يقول:

مذنبكم قد غفر الله له ما أذنبا[٢]

ويقول:

مدوا الأكف سخية، واستغفرى يا أمة قدآن أن تستغفرا[٣]

فالعلاقة بين الله والكون، من خلال أشعار شوقى، علاقة بين خالق مالك متصرف، وكون مخلوق خاضع لأمر الله وارادته، وهى علاقة تشف عن رحمة وعطف من الله على عباده وتوحيد العباد للاله وخالقه، وهى تبدو أيضاً بالترفق التكريمى بالعبادة، والله سبحانه وتعالى فتح باب التوبة لعبده المنيب إليه، وشوقى يطلب المغفرة من ربه ويسأله أن يعفو عنه وعن غيره من الناس، ويقبل توبته وتوبة غيره من عباد الله فيقول:

---

(١) المصدر نفسه ج ٤ ص ٤٦.
(٢) الشوقيات ج ٤ ص ٥٩.
(٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ٤٧.

﴿ ٩٦٦ ﴾

فاسأل إلهي عفوه الجليلا لتائب قد جاءه ذليلا[١]

ولعل ثقافة شوقى الإسلامية من عوامل رسوخ العقيدة عنده، فهو يعلم أن الروح من أمر الله سبحانه، فهو يقول مبطلا زعم من يدعى تحضير الأرواح، وجاعلا علمها لله وحده دون سائر خلقه:

لا تسمعن لعصبة الأرواح ما قالوا بباطل علمهم وكذابه[٢]
الروح للرحمن جل جلاله هى من ضنائن علمه وغيابه[٣]

وشوقى يقر بأن الله سبحانه وتعالى خير معلم لخلقه ويصور ذلك ويعبر عنه أدق تعبير وأصدقه فيقول:

سبحانه اللهم خير معلم علمتْ بالقلم القرون الأولى[٤]

والله سبحانه وتعالى هو العليم بخلقه وهو الهادى ويصور شوقى ذلك فيقول:

جل شأن الله هادى خلقه بهدى العلم، ونور العلماء[٥]

والله عز وجل هو عالم الغيب، واختص نفسه بعلم الغيب وشوقى يصور ذلك أروع تصوير فيقول فى رثاء على باشا أبو الفتوح[٦]:

---

(١) المصدر نفسه ج ٤ ص ١٦٥.
(٢) العصبة من الرجال: ما بين العشرة إلى الأربعين، والمراد هنا الجماعة بقير عدد والكذاب: الكذب.
(٣) ضنائن علمه: أى خصائص علمه مما اختص به نفسه فلا يعلم به سواه وغيابه: إما جمع غيب وهو ما غاب عنك من الأمر، وإما مصدر غاب يغيب وهو كالغيب فى معناه الشوقيات ج ١ ص ٧٩.
(٤) المصدر نفسه ج ١ ص ١٦٩.
(٥) المصدر نفسه ج ٢ ص ٤.
(٦) على باشا أبو الفتوح: أحد نوابع مصر الذين اشتركوا فى تمهيد الطريق لنهضتها، تخرج من الحقوق أسندت له وكالة وزارة المعارف، توفى سنة ١٩١٣م.

لـــم يـــدر إلا اللـــه مـــا خبـأت لـك الدنيـــا، ولـــى
تجـــرى بنـــا لمفتـــح بيـــن الغيـــوب ومقفـــل[١]

والله سبحانه وتعالى هو الرازق، وهو بيده مفاتيح الرزق، فهو الذى يرزق جميع خلقه، ولا تنفذ خزائنه، وشوقى صاحب عقيدة راسخة ومؤمن بأن الرازق هو الله سبحانه وقد عبر عن ذلك أدق تعبير فيقول فى قصيدته «نهج البردة»:

اللـه قسـم بيـن النـاس رزقهـم وأنت خيرت فـى الأرزاق والقسم[٢]

ولأن الله يرزق جميع خلقه، مؤمنهم وكافرهم، فهو يستحق الحمد والشكر على نعمه، وشوقى مقر بالنعمة، فهو يعبر عن حمده وشكره لله فى مطلع قصيدته «رسالة الناشئة» فيقول:

أحمـدك اللـه وأطـرى الأنبيـاء مصـدر الحكمـة طـرا والضيـاء
ولـه الشـكر علـى نعمـى الوجـود وعلـى مـا نلت من فضل وجـود[٣]

والله سبحانه وتعالى صاحب الفضل على جميع خلقه ولا فضل لأحد بجوار فضله وشوقى يصور ذلك تصويراً إيمانياً غاية فى الروعة فيقول:

وإن لقيت ابن أنثى لـى عليـه يـد جحدت فى جنب فضل الله أفضالى[٤]

الاسلام الدين القيم:

لقد ارتضى الله الإسلام دينا للمسلمين، قال تعالى: «ورضيت لكم الإسلام

(١) الشوقيات ج ٣ ص ١٢٣.
(٢) المصدر نفسه ج ١ ص ١٨٨.
(٣) المصدر نفسه ج ٤ ص ٣٨.
(٤) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٢٦.

دينا»[١]، ومن ابتغى غير الإسلام فلن يقبل منه؛ لأنه دين الله قال عز وجل «إن الدين عند الله الإسلام»[٢].

وقال تعالى: «ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين»[٣]. وصاحب العقيدة السليمة الراسخة يؤمن بأن الدين لله، ومن واجبه أن يدافع عن دينه، ويرفع رايته، ويضحى من أجل نصرته بكل ما يملك من النفس والنفيس، فالإسلام عقيدة وعبادة وتشريع فهو الدين الكامل الذى يلائم البشرية المتطورة، ويساير البيئات المتغيرة، وشعر شوقى ملئ بهذه المعانى وقد رسخ فى عقيدته أن الله هو الذى بنى هذا الدين وأكمله، ويذكر شوقى اللبنات التى أسس وقام عليها هذا الدين فالإسلام صرح عظيم شيدته آيات القرآن الكريم، ورفعت سمكه على الحق، وليس فى هذا عجب، لأن الله هو الذى بناه وأقامه، فيقول شوقى مصوراً ذلك أروع تصوير فى «الهمزية النبوية»:

دين يشيد آية فى آية لبناته الشورات والأضواء
الحق فيه هو الأساس، وكيف لا والله جل جلاله البناء؟ [٤]

ولا شك أن الإسلام دين سماحة تتجلى فى جميع ما سن من نظم، ويذكر شوقى بسماحة الإسلام، ويقول إن الإسلام دين يسر وسماحة:

والدين يسر، والخلافة بيعة والأمر شورى، والحقوق قضاء[٥]

(١) سورة المائدة الآية ٣.
(٢) سورة آل عمران الآية ١٩.
(٣) سورة آل عمران الآية ٨٥.
(٤) الشوقيات ج ١ ص ٣٣.
(٥) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٤.

﴿ ٩٦٩ ﴾

كما نوه شوقى بسماحة الإسلام وبين أن المسلمين فتحوا البلاد ليعمروها، ولينيلوا ضعاف الناس ما لهم من حقوق، وليعدلوا فى حكمهم، ويرتقوا بالمحكومين فيقول فى قصيدته «كبار الحوادث فى وادى النيل»:

كما حثت الركاب لأرض جاور الرشد أهلها والذكاء[1]

وعلا الحق بينهم، وسما الفضل ونالت حقوقها الضعفاء

تحمل النجم، والوسيلة والميزان من دينها إلى من تشاء

وتنيل الوجود منه نظاما هو طب الوجود، وهو الداء[2]

وكانوا فى فتوحهم وفى حكمهم ذوى رفق وعدل وكرم وسماحة ورعاية للمغلوبين، وفى هذا دليل على مجدهم ونبلهم، لأن المنتصر قد يغتر بقوته ونصره فيتجبر ويطغى.

لهذا وصل شوقى شرف الشعب المحارب بمسلكه فى الحرب، لأنها تكشف عن أخلاقه، وتبين خلاله، فإن طغى المنتصر وظلم برئ منه المجد، وإذا رحم وتسامح وعدل كان بالمجد خليقا.

وشوقى يريد أن ينوه بالفتوح العربية، لأنها اتسمت بالرفق والعدالة والسماحة والاصلاح فيقول:

إن الشجاعة فى الرجال غلاظة ما لم تزنها رأفة وسخاء

والحرب من شرف الشعوب فإن بغوا فالمجد مما يدعون براء

والحرب يبعثها القوى تجبرا وينوء تحت بلائها الضعفاء[3]

---

(١) حث الركاب: أى حض الإبل على أن تسرع، والمراد كلما انتقلت لأرض.

(٢) الشوقيات ج ١ ص ٢٧.

(٣) الشوقيات ج ١ ص ٣٦.

وقد أكد شوقى على هذا المعنى، وهاجم الغلو والتشدد فى موطن آخر بها فقال فى قصيدته البرلمان:

يـا سـوء سـنتهم وقبـح غلوهـم إن العقـائد بـالغلو تضـار[١]

والدين الإسلامى يعز من دخله فقد نوه شوقى بما كفل الإسلام للبشرية من حرية وإخاء ومساواة وحكم ديمقراطى عادل، فلا سيد ومسود، ولا متسلط وخانع، ولا سلطان لمستغل أو ذى مال أو حسب أوجاه، ولا فرق بين أبيض وأسود؛ فالناس فيه سواسية، لا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى.

ومن هنا فقد حرص الفقراء على الدخول فيه لأنه يعزهم، ويعلى من قدرهم، وشوقى يعبر عن هذا المعنى بقوله:

فلـو أن إنسـانا تخـير ملـة مـا إختـار إلا دينـك الفقـراء[٢]

والدين الإسلامى قد رتب ونظم أمور الخلق وأقامها على خير وجه، ومن هنا فلم يترك مجالاً لمبدع، وشوقى يعبر عن ذلك بقوله فى مديح الرسول صلى الله عليه وسلم:

أنـت الـذى نظـم البريـة دينـه مـاذا يقـول وينظـم الشـعراء؟[٣]

والدين الإسلامى له جنوده وأنصاره وحماته الذين لا يعلمهم إلا الله، وهم انصار الحق، لأن الدين الإسلامى حق لا باطل فيه وشوقى يصور ذلك مخاطبا السلطان عبد الحميد فيقول:

---

(١) المصدر نفسه ج ٢ ص ١٦٥.
(٢) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٥.
(٣) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٧.

بسيفك يعلو الحق، والحق أغلب وينصر دين الله أيان تضرب[١]

وشعائر الدين يجب أن تعظم، ويحرص عليها كل مسلم، لأنها تمثل أركان الإسلام، ومن بين هذه الشعائر حج البيت الحرام، الذى يقصده جميع المسلمين من كل فج عميق، ويجتمعون جميعاً على صعيد عرفات لا فرق بينهم فى شئ وشوقى يعبر عن ذلك فى قصيدته «إلى عرفات» التى قالها بمناسبة حج الخديو (عباس بن محمد توفيق)، وكان الخديوى قد دعا شوقى إلى الحج معه ولكن شوقى تخلف عن ذلك معتذراً بضعفه الجسدى فيقول:

لك الدين يارب الحجيج، جمعتهم لبيت طهور الساح والعرصات[٢]
أرى الناس أصنافاً، ومن كل بقعة إليك انتهوا من غربة وشتات[٣]
تساووا، فلا ألأنساب فيها تفاوت لديك، ولا الأقدار مختلفات[٤]

وشوقى مؤمن راسخ العقيدة ويعلم علم اليقين سلامة الدين الإسلامى واستقامته، ولذلك نراه يدعو الناشئة إلى التمسك به، وأن يجعله المسلم منهجا له، يلتزمه فى سلوكه وتصرفاته فيقول شوقى فى قصيدته «معالى العهد»:

ويا جيل الأمير، إذا نشأتا وشاء الجد أن تعطى، وشئتا
فخذ سبلا إلى العلياء شتى وخل دليلك الدين القويما[٥]

ولأن الدين لله، وشوقى كان حريصا على أن تظل الخلافة الإسلامية ترفرف راياتها على كل بقعة إسلامية، فكان ينبذ التعصب الدينى، ويؤكد على المساواة

(١) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٨.
(٢) الحجيج: جمع حاج وهم الحجاج. والساح: جمع ساحة وهى سامة الدار. العرصات: جمع عرصة وهى البقعة بين الدور ليس فيها فناء.
(٣) الأصناف: الأنواع. والقربة: الاغتراب. والشتات: التفرق.
(٤) الشوقيات ج ١ ص ٩٢.
(٥) المصدر نفسه ج ٤ ص ٣٣.

الدستورية بين الأديان أو الملل والنحل فى دار الإسلام التى هى دار الخلافة، كما يدعو إلى التسامح بين أبناء الشعوب الخاضعة لسلطان الخلافة، متى تظل الدولة الإسلامية قوية فى الداخل، وتتفرغ للتصدى للأعداء الذين يترصدونها من خارج الخلافة، ويرى شوقى أن اختلاف الناس فى أديانهم لا يصح أن يكون مدعاة إلى تدابرهم وتعاديهم، لأن الدين لله، ولأن الأديان السماوية وكتبها المنزلة ورسلها خزائن الحكمة وينابيع الخير ومنار الحق، وهى كلها مجمعة على توحيد الله وحبه والخوف منه، ومجمعة على الدعوة إلى الخير والنهى عن الشر، وإذا فلا مسوغ للتباغض، ولا مندوحة عن تصافى الناس وتسامحهم وإن اختلفت أديانهم، لأن التسامح كرم فى الأخلاق ووسيلة إلى السعادة، وشوقى يعبر عن ذلك أقوى تعبير فى قصيدته «الدستور العثمانى» التى قالها فى زمن السلطان عبد الحميد؛ فيقول:

الدين لله، من شاء الإله هدى ... لكل نفس هوى فى الدين داعيها
ما كان مختلف الأديان داعية ... إلى اختلاف البرايا، أو تعاديها
الكتب، والرسل، والأديان قاطبة ... خزائن الحكمة الكبرى لواعيها
محبة الله أصل فى مراشدها ... وخشية الله أس فى مبانيها[1]
وكل خير يلقى فى أوامرها ... وكل شر يوقى فى نواهيها
تسامح النفس معنى من مروءتها ... بل المروءة فى أسمى معانيها
تخلق الصفح تسعد فى الحياة به ... فالنفس يسعدها خلق ويشقيها[2]

ودعوة شوقى إلى التسامح بين المسلمين والمسيحيين لم تقتصر على رعاية الدولة الإسلامية فى زمن الخلافة العثمانية، بل خص مصر بهذه الدعوة لأنها

(١) المراشد: مقاصد الطرق.
(٢) تخلق الصفح: أى اجعله خلقا لك والصفح: الإعراض عن ذنوب الغير الشوقيات ج١ ص ٢٧٩، ٢٨٠.

﴿ ٩٧٣ ﴾

وطنه الذى يعيش بين ربوعه، ويسعده أن يكون بلدا مطمئنا آمنا، يهنأ مواطنوه بالاستقرار، وينعمون بالأمن والأمان والتسامح، ولذلك نجد شوقى يدعو إلى اتحاد عنصرى الأمة المصرية؛ المسلمين والمسيحيين فى قصيدته «يا شباب الديار» التى قالها فى فعل تكريم واصف غالى باشا سنه ١٩٠٦م، وكان لهذه القصيدة وقع كبير فى توثيق روابط الأخوة بين أبناء هذا الوطن وشوقى يعبر عن ذلك بقوله:

إنما نحن مسلمين وقبطا أمة وحدت على الأجيال[١]

وشوقى يرى أن كل من يعيشون على ضفاف النيل هم أبناء مصر، لا فرق فيهم بين مسلم وقبطى. كما يرى أن كل من يدعى أن الأمة فى مصر هى أمة الأقباط، أو هى أمة المسلمين فقط، فإنما يتعلق بخيال ويدعو إلى محال، فالتاريخ يشهد بأن الكل مصريون، النيل أبوهم، وهم طينه وماؤها، وفوق هذا فالكل بنو آدم وبنو الإنسانية يقول شوقى:

سبق النيل بالأبوة فينا فهو أصل، وآدم الجد تالى
نحن من طينه الكريم على الله، ومن مائه القراح الزلال[٢]

ثم يختم شوقى قصيدته بقوله:

وإلى الله من مشى بصليب فى يديه، ومن مشى بهلال[٣]

فالكل نهايته ومصيره ومرجعه إلى الله؛ يحاسب على معتقده، ولا داعى لهذا التعصب والخلاف بين أبناء الوطن الواحد، وهذه أسس قد أرساها

(١) المصدر نفسه ج ١ ص ١٧٧.
(٢) الماء القراح: الصافى الشوقيات ج ١ ص ١٧٧.
(٣) المصدر نفسه ج ١ ص ١٧٨.

الإسلام وأقرها فى قوله سبحانه وتعالى «لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى...»[١] وفى قوله سبحانه «لكم دينكم ولى دين»[٢].

ويدعو شوقى إلى التسامح أيضاً ونبذ الغلو فى الدين بين أبناء الأمة والوطن فى قصيدته التى رثى بها جورجى زيدان فيقول:

لا تجعلوا الدين باب الشر بينكم ولا محل مباهاة وإدلال
ما الدين إلا تراث الناس قبلكم كل إمرئ لأبنه تابع تالى
ليس الغلو أمينا فى مشورته مناهج الرشد قد تخفى على الغالى[٣]

فشوقى صادق فى دعوته إلى التسامح، ونبذ التعصب والغلو فى الدين، لأن الدين لله، والوطن للجميع، ولكن يؤخذ على شوقي قوله:

ما الدين إلا تراث الناس قبلكم كل امرئ لابيه تابع تالى[٤]

لأن هذا البيت – فى رأيى – دعوة إلى الكسل وخمول الذهن وعدم إعمال العقل والفكر، وهذا يتنافى مع الدين الحنيف الذى دعا كل مسلم أن يستغل عقله فيما خلق له من التدبر فيتأمل وينظر ويحكم لا عن عقائد موروثة بل عن دليل ناطق وشهادة صحيحة، ومن هنا كانت المعرفة المستبصرة ركناً أساسياً فى الإسلام، فمن أسلم عن غير فهم وتبصر كان إسلامه منقوصاً، إذ الإسلام الصحيح يقوم على الفهم والاقتناع لاعلى التقليد والمحاكاة للآباء والأسلاف ولكن شوقى جعل الدين تراثا يجب المحافظة عليه دون مناقشة، وجعل الابناء تابعين للأباء، لا حق لهم فى البحث والوصول إلى الحقيقة

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٦.
(٢) سورة الكافرون الآية ٦.
(٣) الشوقيات ج ٣ ص ١٢٥.
(٤) المصدر نفسه ج ٣ ص ١٢٥

والتعرف على الدين الصحيح من الفاسد، بالإضافة ان شوقى فى هذا البيت سوى بين الأديان، ودين الله واحد «إن الدين عند الله الإسلام»[١]، ولعل السبب فى ذلك مراعاة المقام، فشوقى يرثى جرجى زيدان، ولا يريد أن يقلل من شأنه، وكان يغنيه عن ذلك، الاكتفاء بالبيت السابق - على هذا البيت - الذى قدم فيه النصح للمسلمين والمسيحيين، وعدم الاتيان بهذا البيت الذى أوقعه فى هذا الحرج.

وشوقى الذى دعا إلى التسامح والاتحاد بين المسلمين والمسيحيين يهون الأمر على المسيحيين فى قصيدة «مسجد أياصوفيا» - فى استانبول فحين فتح المسلمون بلادهم بالقوة، وحولوا كنيستهم إلى مسجد أقاموا فيه الصلاة؛ وقد أضفوا عليه الصبغة الإسلامية بادخال بعض الترميمات، فعندما دخل محمد الفاتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣م أمر بفتح المدينة، وتحو يل الكنيسة إلى مسجد[٢].

وشوقى استطاع بذكاء ايجاد حل يرضى الطرفين بشعره إذ قال:

كنيسة صارت إلى مسجد هديه السيد للسيد
كانت لعيسى حرما، فانتهت بنصره الروح إلى أحمد[٣]

فقد برع شوقى لأنه يوهم أن الكنيسة (صارت) مسجدا من تلقاء نفسها، فلم يصيرها غيرها، ويعقب على هذا بأنها هدية من سيد إلى سيد،

(١) سورة آل عمران الآية ١٩.
(٢) محمد الفاتح سالم الرشيدى ص ٤١ وما بعدها الطبعة الثالثة دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٩م.
(٣) الشوقيات ج ٢ ص ٢٥.

فهى هدية، وهذه الهدية ليست من ضعيف إلى قوى أو من صغير إلى كبير، وإنما هى من أخ إلى أخيه، ثم يقول فى البيت الثانى أنها كانت معبداً مسيحياً مدة من الزمان فأراد الله أن تكون معبدا اسلاميا، وفى هذا من الدعوة إلى الرضا ما فيه.

وفى هذه القصيدة أيضاً يدعو شوقى إلى التدبر والتعقل، ويذكر بأن الناس لو اجتمعوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك فى ملك الله شيئا، وأيضاً لو اجتمعوا على أفجر قلب رجل ما نقص ذلك من ملك الله شيئاً، فالله غنى عن عباده، والناس هم الفقراء إليه؟ يعبر شوقى عن ذلك فيقول:

كنيسة كالفدن المعتلى ومسجد كالقصر من أصيد[١]
والله عن هذا وذا فى غنى لو يعقل الإنسان أو يهتدى[٢]

وعقيدة التوحيد تتطلب من المسلم صاحب العقيدة السليمة الراسخة أموراً كثيرة منها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، والإقرار بحب الله وإخلاص العبادة له وحده ونفيها عما سواه، فلا معبود بحق إلا الله فكل ما عبد من دون الله من بشر أو ملك أو جنى أو أصنام أو غير ذلك من ألوان الشرك فكله معبود بالباطل[٣]، وشعر شوقى ناطق بكل هذه الأمور! فهو – على سبيل المثال – لم ينس فى قصيدته التى حيا بها الخديوى عباس بمناسبة حجه أن يذكره بأن يبث شكاته إلى الرسول ويناجيه بحزنه من تخلف الشعوب الإسلامية واستكانتها واستنامتها، والعجب

(١) الفدن: القصر المشيد.
(٢) الشوقيات ج ٢ ص ٢٦.
(٣) العقيدة الصحيحة وما يضادها ورسالة المعية الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ص ٣، ٨ طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية الطبعة السابعة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

أن فى أيديها نورين من كتاب الله وسنة رسوله، ولكنها تخبط فى جهالة وتنام فى ظلمة، ولها ماض مشرق إذ كانت تهتدى بالقرآن والسنة، فما الذى يعوقها أن تستعيد ماضيها، وتبنى مستقبلها فى عصر تتسابق فيه الأمم إلى القوة والعلاء والمجد، وتخترع فيه ما يقويها فى الجو والبحر؟

ثم يختم شوقى قصيدته بالدعاء أن يوفق الله الأمة الإسلامية إلى أن تنهض لتحيا حياة مجيدة عزيزة. وشوقى يعبر عن هذا المعنى أدق التعبير فيقول:

فقل لرسول الله: يا خير مرسل ... أبثك ما تدرى من الحسرات(١)

شعوبك فى شرق البلاد وغربها ... كأصحاب كهف فى عميق سبات(٢)

بأيمانهم نوران: ذكر، وسنة ... فما بالهم فى حالك الظلمات(٣)

وذلك ماضى مجدهم وفخارهم ... فما ضرهم لو يعملون الآتى؟ (٤)

وهذا زمان؛ أرضه وسماؤه ... مجال لمقدام كبير حياة(٥)

مشى فيه قوم فى السماء، وأنشئوا ... بوارج فى الأبراج ممتنعات(٦)

فقل: رب وفق للعظائم أمتى ... وزين لها الأفعال والعزمات(٧)

---

(١) أبثك: أطلعك. وما تدرى: ما تعلم. والحسرات: جمع حسرة وهى أشد التلهف على الفائت.

(٢) شعوبك: جمع شعب وهو القبيلة العظيمة من الناس. والكهف: البيت الواسع المنقور فى الجبل. العميق: البعيد الغور. السبات: النوم.

(٣) ايمانهم: جمع يمين وهى الجهة المضادة لليسار والجارحة أيضا البال: الحال والشأن الحالك: شديد السواد.

(٤) المجد: العز والرفعة. الفخار: المباهاة بالمناقب والمكارم.

(٥) المجال: مكان الجولان وهو الطوف فى غير استقرار المقدام: أصله كثير الإقدام على العدو، والمراد هنا الكثير الإقدام على عظائم الأمور.

(٦) مشى فيه: أى فى هذا الزمان. وأنشئوا: أحدثوا. وبوارج: جمع بارجة وهى سفينة كبيرة للقتال. والابراج: جمع برج وهو فى السماء بابها. ممتنعات: محتميات.

(٧) وفق للعظائم أمتى: ألهمها اياها. والعظائم: جمع عظيمة وهى ما عظم من الأمور العزمات: جمع عزمة وهى الثبات والصبر فيما يغرم عليه الشوقيات ج ١ ص ٩٤، ٩٥

﴿ ٩٧٨ ﴾

وشوقى مؤمن قوى الإيمان بأن القرآن كتاب الله الحق، وأن ما جاء به هو الحق ويجب الإيمان به ويعبر عن ذلك بقوله:

فإنما هى شورى الله جاء بها كتابه الحق يعليها ويغليها[١]

ومن عقيدة شوقى الراسخة أنه لا يعدل بحب الله شيئاً، ويلقى باللوم ويعنف كل إنسان أتبع نفسه هواها، وأحب غير الله، فيقول فى قصيدته «ذكرى المولد»:

عجت لمعشر صلوا وصاموا عواهر، خشية وتقى كذابا[٢]
وتلفيهم حيال المال صما إذا داعى الزكاة لهم أهابا[٣]
لقد كتموا نصيب الله منه كأن الله لم يحص النصابا
ومن يعدل بحب الله شيئا كحب المال؛ ضل هوى وخابا[٤]

وذلك لأن جميع الأديان السماوية دعت إلى محبة الله، وجعلت حب الله من مقاصدها الأساسية، وشوقى يعبر عن ذلك أدق تعبير فيقول:

محبة الله أصل فى مراشدها وخشية الله أس فى مبانيها[٥]

وشوقى مؤمن بأن الله سبحانه وتعالى جدير بمحبة عباده المخلصين، لأنه سوى بين خلقه جميعاً فى نهاية الحياة، فالموت يسوى بين الغنى والفقير وبين الكريم والبخيل، ويصور شوقى ذلك بقوله:

وسوى الله بينكم المنايا ووسدكم مع الرسل الترابا[٦]

---

(١) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٧٧.
(٢) الكذاب: الكذب.
(٣) أهاب به: دعاه.
(٤) الشوقيات ج ١ ص ٦٤.
(٥) المصدر نفسه ج ١ ص ٢٧٩.
(٦) سوى: جعلكم فيها سواء الشوقيات ج ١ ص ٦٥.

وشوقى صاحب العقيدة الراسخة الصحيحة، يمدح صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد تنبه شوقى إلى أن النبى صلى الله عليه ربى رجالات نهضوا بعده بجسام الأعباء، ورفعوا ألوية الإسلام خفاقة عالية، متى كاد يعم العالم كله، فأشاد بشجاعتهم وافتدائهم عقيدتهم بارواحهم ودمائهم وأموالهم.

صورهم شوقى ذوى بأس وذوى نجدة، ردوا عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن الإسلام ضروب الشر والأذى، متذرعين بعظمة أخلاقهم، وحماستهم لدينهم، وايثارهم الموت الشريف على الحياة المهنية، حتى استطاعوا أن يقوضوا حصون الشرك، ويستأصلوا الوثنية. وقال أنهم كانوا ذوى مهابة وجلال بإيمانهم وطهر نفوسهم وسمو أخلاقهم، حتى أن الأرض كانت توقرهم وتغضى هيبة لهم، وكانوا لا يحفلون بنعيم الحياة ولا ثراء المال، لأنهم غضوا الطرف عنها، وتعلقوا بما هو أسمى وأبقى فلما فتحوا البلاد ودانت لهم العباد، لم يطغوا ولم يتهافتوا على نعماء الحياة ومتاعها الزائل.

ويصور شوقى ذلك أروع تصوير فيقول فى قصيدته «الهمزية النبوية»:

هل كان حول محمد من قومه إلا صبى واحد ونساء؟
فدعا فلبى فى القبائل عصبه مستضعفون قلائل، أنضاء[1]
ردوا ببأس العزم عنه من الأذى ما لا ترد الصخرة الصماء
والحق والإيمان إن صبا على برد ففيه كتيبة خرساء[2]

(١) النضو: المهزول من الإبل وغيرها.
(٢) الكتيبة الخرساء: التى لا يسمع فيها صوت.

نسفوا بناء الشرك، فهو خرائب واستأصلوا الأصنام، فهى هباء[١]
يمشون تغضى الأرض منهم هيبة وبهم حيال نعيمها إغضاء
حتى إذا فتحت لهم أطرافها لم يطغهم ترف ولا نعماء[٢]

هكذا كان الجيل الذى رباه محمد صلى الله عليه وسلم، جيل رجولة وجهاد وفداء وجلاد وترفع عن سفساف الحياة ومتاعها الخداع.

ولقد برع شوقى حين علل قوة النفر القليل وحمايتهم للنبى من عدوان المشركين الأقوياء بأن هذه القلة كانت قوية بالحق والإيمان، لأن الحق واليقين والعزيمة أن حلت فى بُرْدٍ جعلت منه كتيبة.

وقد برع شوقى أيضاً حين صور عظمة المسلمين الأولين بأن الأرض كانت تغضى من هيبتهم، وبأنهم كانوا يغضون عن نعمائها. ثم تعقيبه على هذا بأن اغضاءهم لم يكن عن اضطرار إلى الرضا بالحرمان، فقد انساحوا فى العالم وملكوه ولكن لم يبطرهم نعيم ولا رخاء.

ونجد شوقى فى موضع آخر يهجو هؤلاء الجهلة الذين عبدوا الأصنام وألهوا التماثيل؛ فيقول:

من جهلهم بالدين والدنيا معا عبدوا الأصم، وألهوا التمثالا[٣]

واختتم هذا البحث بدعوة شوقى إلى التمسك بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد سماه نبيّ البر، وقال أنه وضح سبله للناس، وسن لهم دستوره، وهداهم إليه.

---

(١) الهباء: الغبار.
(٢) الشوقيات ج ١ ص ٣٦.
(٣) الشوقيات ج ١ ص ١٧٦.

﴿ ٩٨١ ﴾

ويعبر شوقى عن هذا المعنى فى قصيدته «ذكرى المولد» فيقول:

بنـــيّ الـــبر، بينـــه ســـبيلا وســن خلالـــه، وهـــدى الشـــعابا[١]

ثم قال شوقى فى موضع آخر:

ولـو حفظـوا ســبيلك كــان نــورا وكـان مـن النحــوس لهـم حجابـا[٢]

وفى نهاية المطاف فإن هذا البحث «ملامح شعر العقيدة عند شوقى» جعلنى أقرأ بروية ديوان «الشوقيات» وبعضا من أشعار شوقى التى لم تدون فى «الشوقيات» ولعلى بتوفيق من الله قد استطعت أن أقف على جانب من شعره الإسلامى الذى لم يوفه الباحثون حقه؛ وهو جانب العقيدة، حيث تتجلى مظاهر العقيدة الراسخة فى شعر شوقى بوضوح، ومما لا شك فيه أن شعر شوقى فى هذا الجانب كان ترجماناً صادقاً عن قلبه ومشاعره وأحاسيسه، مما جعلنى أقول عن ثقة ويقين إن شوقى شاعر مؤمن قوى الإيمان، يملك عقيدة إسلامية صحيحة وسليمة وقوية؛ جعلته يلهج بذكر الله وتوحيده، ويدعو إلى الإيمان به وبصفاته والتسليم لقضائه وقدره، وذلك فى قصائد مستقلة؛ وفى مطالع كثير من قصائده، وفى ثنايا كثير منها. وهذا كله قليل من كثير مما جادت به قريحة هذا الشاعر العبقرى الذى سلك جميع جداول الشعر وأصاب بأسهمه أكباد الأغراض التى صوب إليها كبار الشعراء، وهو شاعر مصر الحديثة وشاعر الأمة العربية.

والشاعر الذى استحق بجدارة وتزكية مبايعه لقب أمير الشعراء فى زمنه وأحد أمراء الشعراء فى جميع عصور الشعر العربى. ومهما قيل عن

(١) الشعاب: الطرق المصدر نفسه ج ١ ص ٦٥.
(٢) المصدر نفسه ج ١ ص ٦٦.

﴿ ٩٨٢ ﴾

بعض ملامح تحلله؛ فهذا إن صدق على قليل من أشعاره، فإن الجانب الأكبر من شعره يؤيد ما إنتهيت إليه من سلامة عقيدته، وقوة إيمانه، وتدينه الشديد، وإنى لأرجو أن أكون قد وفيت الغرض، والله من وراء القصد، وهو حسبى ونعم الوكيل.

﴿ ٩٨٣ ﴾

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الاتجاه الإسلامى فى الشعر المصرى المحافظ من ١٨٨٢ إلى ١٩١٩ نبيل طبوشه الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.
- أحمد شوقى باهر – حسن الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م أعلام العرب.
- الأدب العربى المعاصر فى مصر– شوقى ضيف دار المعارف الطبعة الثامنة ١٩٨٣م.
- الإسلام فى شعر شوقى – أحمد محمد الحوفى يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضه الكتاب الثالث ١٣٨٢هـ – ١٩٦٢م.
- اسلاميات أحمد شوقى دراسة نقدية – سعاد عبد الوهاب عبد الكريم تقديم ومراجعة سهير القلماوى.
- أسواق الذهب – أحمد شوقى مطبعة الاستقامة – القاهرة سنة ١٩٥١م.
- أمراء الشعراء – السيد فرج الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢م.
- أمير الشعراء أحمد شوقى شعره الغنائى الخالد – ضياء ظاظا إذن الطباعة من وزارة الإعلام فى الجمهورية العربية السورية الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
- تاريخ الآداب العربية – تحقيق على نجيب عطوى الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
- تاريخ الأدب العربى العصر الإسلامى – شوقى ضيف الطبعة السابعة دار المعارف بمصر.
- تطور الأدب الحديث فى مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية – أحمد هيكل دار المعارف الطبعة الرابعة ١٩٨٣م.
- الحضارة الإسلامية وضرورتها للحضارة الغربية – أحمد شلبى المجلس الأعلى

﴿ ٩٨٤ ﴾

للشئون الإسلامية ١٩٩٨م.

- الدين والأخلاق فى شعر شوقى - على الجندى ١٩٦٤م.
- رسالة المعية - عبد العزيز بن عبد الله بن باز وزارة الشئون الإسلامية الطبعة السابعة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- شوقى شاعر العصر الحديث - شوقى ضيف دار المعارف الطبعة الثالثة عشرة.
- الشوقيات - لأمير الشعراء أحمد شوقى مكتبة مصر.
- شوقى وشعره الإسلامى - ماهر حسن ١٩٥٩م.
- صحيح الإمام مسلم - بشرح النووى الطبعة المصرية بدون تاريخ.
- فصول فى الشعر ونقده - شوقى ضيف دار المعارف الطبعة الثانية.
- لسان العرب لابن منظور دار المعارف ١٩٨١م.
- مجلة الهلال عدد مايو ١٩٢٤م.
- محمد الفاتح - سالم الرشيدى الطبعة الثالثة دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٩م.
- الموازنة بين الشعراء أبحاث فى أصول النقد وأسرار البيان - زكى مبارك شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- الموازنة بين الشعراء - زكى مبارك إعداد وتقديم كريمة زكى مبارك الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م.
- موقف شوقى والشعراء المصريين من الخلافة العثمانية - عبد العليم القبانى الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨م.
- النقد الأدبى - أحمد أمين الطبعة الثالثة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٣م.
- وحى القلم - مصطفى صادق الرافعى مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.